ترجمة مؤلف كتاب (ثلاثة الأصول)
شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى

*نسبه:
هو الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد ابن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر من أوهبة بني تيم.

*مولده:
ولد هذا العالم في بلدة العيينة سنة 1115 هجرية في بيت علم وشرف ودين، فأبوه عالم كبير، وجده سليمان عالم نجد في زمانه .

*نشأته:
حفظ القرآن قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتى نال حظاً وافراً وكان موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه، وكان كثير المطالعة في كتب التفاسير والحديث، وجد في طلب العلم ليلاً ونهاراً، فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون، ورحل في طلب العلم في ضواحي نجد وفي مكة وقرأ على علمائها، ثم رحل إلى المدينة النبوية فقرأ على علمائها، ومنهم العلامة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الشمري، كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير إبراهيم بن الشمري مؤلف العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض وعرفاه بالمحدث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم الحديث ورجاله وأجازه بالأمهات . وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ قد وهبه الله فهماً ثاقباً وذكاءً مفرطاً وأكب على المطالعة والبحث، والتأليف وكان يثبت ما يمر عليه من الفوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسأم من الكتابة وقد خط كتباً كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم – رحمهما الله – ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه السيال موجودة بالمتاحف.

ولما توفي والده (سنة 1153 هـ) أخذ يعلن جهراً بالدعوة السلفية إلى توحيد الله وإنكار المنكر ويهاجم المبتدعة أهل القبور (الأوثان والأصنام)، وقد شد أزره الولاة من آل سعود وقويت شوكته وذاع خبره.

*مؤلفاته:

وله – رحمه الله تعالى – مؤلفات نافعة نذكر منها:

الكتاب الجليل المفيد المسمى: كتاب التوحيد، وقد طبع أكثر من ألف طبعة كلما نفدت طبعه أعيد طبعه.

1-1- كتاب "كشف الشبهات".
2-2- كتاب "الكبائر".
3-3- كتاب "ثلاثة الأصول".
4-4- كتاب "مختصر الإنصاف والشرح الكبير".
5-5- كتاب " مختصر زاد المعاد".
6-6- وله فتاوى ورسائل جمعت باسم مجموعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود.

*وفاته:

وقد توفي رحمه الله تعالى عام 1206 هـ فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم (الفقير إلى الله تعالى)

فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان: عفا الله عنه.

ترجمة الشارح
فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
حفظه الله تعالى
***نسبه: هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي.**
***مولده:**
ولد في مدينة عنيزة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام 1347 هـ.
***نشأته:**
قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله فحفظه، ثم اتجه إلى طلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب، وكان الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله قد أقام اثنين من طلبة العلم عنده ليدرسا الطلبة الصغار أحدهما الشيخ علي الصالحي، والثاني الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رحمه الله، قرأ عليه مختصر العقيدة الواسطية للشيخ عبد الرحمن السعدي، ومنهاج السالكين في الفقه للشيخ عبد الرحمن أيضاً، والأجرومية والألفية.
وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان في الفرائض والفقه .
و قرأ على الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي يعتبر شيخه الأول حيث لازمه وقرأ عليه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف.
وكانت لفضيلة الشيخ منزلة عظيمة عند شيخه رحمه الله فعندما انتقل والد الشيخ محمد –رحمه الله – إلى الرياض إبان أول تطوره رغب في أن ينتقل معه ولده – الشيخ حفظه الله –فكتب له الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله "إن هذا لا يمكن نريد محمداً أن يمكث هنا حتى يستفيد".
ويقول فضيلة الشيخ حفظه الله: "إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني، وكذلك أيضاً تأثرت به من ناحية

الأخلاق لأن الشيخ عبد الرحمن رحمه الله كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، وكان رحمه الله على قدر كبير في العلم والعبادة، وكان يمازح الصغير، ويضحك إلى الكبير، وهو من أحسن من رأيت أخلاقاً".

- قرأ على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حيث يعتبر شيخه الثاني، فابتدأ عليه قراءة صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية.

يقول الشيخ: "تأثرت بالشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله من جهة العناية بالحديث، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً وبسط نفسه للناس".

- في عام 1371هـ، يقول الشيخ حفظه الله:

"دخلت المعهد الإسلامي من السنة الثانية، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي، وبعد أن استأذنت من الشيخ عبد الرحمن السعدي عليه رحمة الله، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت ينقسم إلى قسمين خاص وعام، فكنت في القسم الخاص، وكان في ذلك الوقت أيضاً من شاء أن يقفز كما يعبرون بمعنى أنه يدرس السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة ثم يختبرها في أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها وبهذا اختصرت الزمن" اهـ.

- وبعد سنتين تخرج وعين مدرساً في معهد عنيزة العلمي مع مواصلة الدراسة انتساباً في كلية الشريعة ومواصلة طلب العلم على يد الشيخ عبد الرحمن السعدي.
- ولما توفي فضيلة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية بالإضافة إلى التدريس في المعهد العلمي ثم انتقل إلى التدريس في كليتي الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم حتى الآن، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ولفضيلة الشيخ حفظه الله نشاط كبير في الدعوة

إلى الله عز وجل وتبصير الدعاة في كل مكان وله جهود مشكورة في هذا المجال.

- **والجدير بالذكر أن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله قد عرض بل ألح على فضيلة الشيخ في تولي القضاء، بل أصدر قراره بتعيينه حفظه الله تعالى رئيساً للمحكمة الشرعية بالأحساء فطلب منه الإعفاء، وبعد مراجعات واتصال شخصي من فضيلة الشيخ سمح رحمه الله تعالى بإعفائه من منصب القضاء.**
- **مؤلفـاته:**

له حفظه الله تعالى مؤلفات كثيرة تبلغ 40 ما بين كتاب ورسالة وسوف تجمع إن شاء الله تعالى في مجموع الفتاوى والرسائل.

بسم[1] الله[2]

....

(1) (1) ابتدأ المؤلف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله عز وجل فإنه مبدوء بالبسملة، واتباعاً لحديث "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بباسم الله فهو أبتر"[1] واقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه يبدأ كتبه بالبسملة.

الجار والمجرور متعلق بمحذوف فعل مؤخر مناسب للمقام تقديره باسم الله أكتب أو أصنف.

وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال.

وقدرناه مؤخراً لفائدتين:

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى.

الثانية: إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً : باسم الله أبتدئ، ما يدرى بماذا أبتدئ، لكن باسم الله أقرأ يكون أدل على المراد الذي أبتدئ به.

(2) (2) الله علم على الباري جل وعلا وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء حتى إنه في قوله تعالى: } كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد*الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد { {سورة إبراهيم، الآيتان: 1-2} لا نقول إن لفظ الجلالة "اللهِ" صفة بل نقول : هي عطف بيان لئلا يكون لفظ الجلالة تابعاً تبعية النعت للمنعوت.

([1] عزاه السيوطي في الجامع الصغير "للرهاوي" 4/147، وأخرجه الخطيب في "الجامع" 2/69. وقد أخرج الحديث بطرق كثيرة وألفاظ متعددة، وقد سئل شيخنا العلامة محمد العثيمين –حفظه الله ورعاه-عن هذا الحديث فقال: "هذا الحديث اختلف العلماء في صحته فمن أهل العلم من صححه واعتمده كالنووي، ومنهم من ضعفه . ولكن تلقي العلماء هذا الحديث بالقبول ووضعهم ذلك الحديث في كتبهم يدل على أن له أصلاً . . ." انتهى من كتاب (العلم) لفضيلة شيخنا-يسر الله نشره _.

الرحمن[1] الرحيم[2] اعلم [3] . . . .

---

(1) (1) الرحمن اسم من الأسماء المختصة بالله عز وجل لا يطلق على غيره والرحمن معناه المتصف بالرحمة الواسعة.
(2) (2) الرحيم يطلق على الله عز وجل وعلى غيره، ومعناه ذو الرحمة الواصلة، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة فإذا جمعا صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون﴾ {سورة العنكبوت، الآية: 21} .
(3) (3) العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.
مراتب الإدراك ست:
الأولى: العلم وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.
الثانية: الجهل البسيط وهو عدم الإدراك بالكلية.
الثالثة: الجهل المركب وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.
الرابعة: الوهم وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.
الخامسة: الشك وهو إدراك الشيء مع احتمال مساو.
السادسة: الظن وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.
والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري.

رحمك الله[1] أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل [2] ؛ الأولى: العلم وهو: معرفة الله[3] . . . . .

فالضروري ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.
والنظري ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

(1) (1) رحمك الله أفاض عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك، فالمعنى غفر الله لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك وعصمك فيما يستقبل منها، هذا إذا أفردت الرحمة، أما إذا قترنت بالمغفرة فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة التوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل.
وصنيع المؤلف رحمه الله تعالى يدل على عنايته وشفقته بالمخاطب وقصد الخير له.

(2) (2) هذه المسائل التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظم نفعها.

(3) (3) أي معرفة الله عز وجل بالقلب معرفة تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علماً بخالقه ومعبوده قال الله عز وجل: } وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون{ {سورة الذاريات، الآيتان: 20-21} .

ومعرفة نبيه [1] ومعرفة دين الإسلام[2]

....

---

(1) (1) أي معرفة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم المعرفة التي تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق، وتصديقه فيما أخبر، وامتثال أمره فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتحكيم شريعته والرضا بحكمه قال الله عز وجل: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ {سورة النساء الآية: 65}. وقال تعالى: ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ {سورة النور الآية: 51}.وقال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ {سورة النساء: 59}. وقال عز وجل: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ {سورة النور، الآية: 63}. قال الإمام أحمد رحمه الله: "أتدري ما الفتنة؟

الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك".

(2) (2) قوله :معرفة دين الإسلام: الإسلام بالمعنى العام هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر الله عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل. قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ {سورة البقرة، الآية: 128}.

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يختص بما بعث به محمد صلى الله عليه وسلم لأن ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم، فَأَتبْاع الرسل مسلمون في زمن رسلهم،

بالأدلة[1] ....

فاليهود مسلمون في زمن موسى صلى الله عليه وسلم والنصارى مسلمون في زمن عيسى صلى الله عليه وسلم، وأما حين بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به فليسوا بمسلمين.
وهذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه قال الله عز وجل:} إن الدين عند الله الإسلام{ {سورة آل عمران، الآية: 19}، وقال: } ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين{ {آل عمران، الآية: 85} وهذا الإسلام هو الإسلام
الذي امتن الله به على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، قال الله تعالى: } اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً{ {سورة المائدة، الآية:3}.
(1) (1) قوله: بالأدلة جمع دليل وهو ما يرشد إلى المطلوب، والأدلة على معرفة ذلك سمعية، وعقلية، فالسمعية ما ثبت بالوحي وهو الكتاب والسنة، والعقلية ما ثبت بالنظر والتأمل، وقد أكثر الله عز وجل من ذكر هذا النوع في كتابه فكم من آية قال الله فيها :ومن آياته كذا وكذا وهكذا يكون سياق الأدلة العقلية الدالة على الله تعالى.
وأما معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بالأدلة السمعية فمثل قوله تعالى: }محمد رسول الله والذين معه{ {سورة الفتح، الآية: 29} الآية. وقوله: }وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل{ {سورة آل عمران، الآية: 144} . وبالأدلة العقلية بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات التي أعظمها كتاب الله عز وجل المشتمل على الأخبار الصادقة النافعة والأحكام المصلحة العادلة، وما جرى على يديه من خوارق العادات، وما أخبر به من أمور الغيب التي لا تصدر إلا عن وحي والتي صدقها ما وقع منها.

الثانية العمل به [1] الثالثة: الدعوة إليه[2] . . . .

---

(1) (1) قوله العمل به أي العمل بما تقتضيه هذه المعرفة من الإيمان بالله والقيام بطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من العبادات الخاصة، والعبادات المتعدية، فالعبادات الخاصة مثل الصلاة، والصوم، والحج، والعبادات المتعدية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله وما أشبه ذلك.

والعمل في الحقيقة هو ثمرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

(2) (2) أي الدعوة إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من شريعة الله تعالى على مراتبها الثلاث أو الأربع التي ذكرها الله عز وجل في قوله: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ {سورة النحل، الآية: 125} والرابعة قوله: ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ {سورة العنكبوت، الآية: 46}.

ولا بد لهذه الدعوة من علم بشريعة الله عز وجل حتى تكون الدعوة عن علم وبصيرة . لقوله تعالى: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ {سورة يوسف، الآية: 108} والبصيرة تكون فيما يدعو إليه بأن يكون الداعية عالماً بالحكم الشرعي، وفي كيفية الدعوة، وفي حال المدعو.

ومجالات الدعوة كثيرة منها: الدعوة إلى الله تعالى بالخطابة، وإلقاء المحاضرات، ومنها الدعوة إلى الله بالمقالات، ومنها الدعوة إلى الله بحلقات العلم، ومنها الدعوة إلى الله بالتأليف ونشر الدين عن طريق التأليف.

ومنها الدعوة إلى الله في المجالس الخاصة فإذا جلس الإنسان في مجلس في دعوة مثلاً فهذا مجال للدعوة إلى الله عز وجل ولكن ينبغي أن تكون على وجه لا ملل فيه ولا إثقال، ويحصل هذا بأن يعرض الداعية مسألة علمية على الجالسين ثم تبتدئ المناقشة ومعلوم أن المناقشة والسؤال والجواب له دور كبير في فهم ما أنزل الله على رسوله وتفهيمه، وقد يكون أكثر فعالية من إلقاء خطبة أو محاضرة إلقاء مرسلاً كما هو معلوم. والدعوة إلى الله عز وجل هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وطريقة من تبعهم بإحسان، فإذا عرف الإنسان معبوده، ونبيه، ودينه ومن الله عليه بالتوفيق لذلك فإن عليه السعي في إنقاذ إخوانه بدعوتهم إلى الله عز وجل وليبشر بالخير، قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم" [1] متفق على صحته. ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً" [2] . وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم أيضاً: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"[3].

---

[1] رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب: دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة. ومسلم . كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[2] مسلم، كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة.

[3] مسلم، كتاب الإمارة باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه [1]
. . . . .

---

(1) الصبر حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله فيحبس النفس عن التسخط والتضجر والملل، ويكون دائماً نشيطاً في الدعوة إلى دين الله وإن أوذي ، لأن أذية الداعين إلى الخير من طبيعة البشر إلا من هدى الله قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾ {سورة الأنعام، الآية: 34} وكلما قويت الأذية قرب النصر، وليس النصر مختصاً بأن ينصر الإنسان في حياته ويرى أثر دعوته قد تحقق بل النصر يكون ولو بعد موته بأن يجعل الله في قلوب الخلق قبولاً لما دعا إليه وأخذاً به وتمسكاً به فإن هذا يعتبر نصراً لهذا الداعية وإن كان ميتاً ، فعلى الداعية أن يكون صابراً على دعوته مستمراً فيها صابراً على ما يدعو إليه من دين الله عز وجل ، صابراً على ما يعترض دعوته . صابراً على ما يعترضه هو من الأذى، وهاهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا بالقول وبالفعل قال الله تعالى: ﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ {سورة الذاريات، الآية: 52} وقال عز وجل: ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ {سورة الفرقان، الآية: 31} ولكن على الداعية أن يقابل ذلك بالصبر وانظر إلى قول الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ {سورة الإنسان، الآية: 23} كان من المنتظر أن يقال : فاشكر نعمة ربك ولكنه عز وجل قال: ﴿ فاصبر لحكم ربك﴾ {سورة الإنسان، الآية: 24} وفي هذا إشارة إن كل من قام بهذا القرآن فلابد أن يناله ما يناله مما يحتاج إلى صبر، وانظر إلى حال النبي صلى الله عليه وسلم حين ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول:

والدليل قوله تعالى: } والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر {[1] . . . .

"اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[1] فعلى الداعية أن يكون صابراً محتسباً .

والصبر ثلاثة أقسام:

1- 1- صبر على طاعة الله.

2- 2- صبر عن محارم الله.

3- 3- صبر على أقدار الله التي يجريها إما مما لا كسب للعباد فيه، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء.

(1) (1) قوله : والدليل أي على هذه المراتب الأربع قوله تعالى: } والعصر { أقسم الله عز وجل في هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر وهو محل الحوادث من خير وشر، فأقسم الله عز وجل به على أن الإنسان كل الإنسان في خسر إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى-: جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الـذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.

([1]) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين . ومسلم، كتاب الجهاد، بـاب : غزوة أحد.

. . . .

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.
الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين" .
فالله عز وجل أقسم في هذه السورة بالعصر على أن كل إنسان فهو في خيبة وخسر مهما كثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة:
أحدها: الإيمان ويشمل كل ما يقرب إلى الله تعالى من اعتقاد صحيح وعلم نافع .
الثاني: العمل الصالح وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن يكون فاعله لله مخلصاً ولمحمد صلى الله عليه وسلم متبعاً.
الثالث: التواصي بالحق وهو التواصي على فعل الخير والحث عليه والترغيب فيه.
الرابع: التواصي بالصبر بأن يوصي بعضهم بعضاً بالصبر على فعل أوامر الله تعالى، وترك محارم الله، وتحمل أقدار الله.
والتواصي بالحق والتواصي بالصبر يتضمنان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين بهما قوام الأمة وصلاحها ونصرها وحصول الشرف والفضيلة لها: } كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله{ {سورة آل عمران، الآية: 110}.

قال الشافعي –رحمه الله تعالى [1] _: " لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم" [2] وقال البخاري –رحمه الله [3] -: "باب العلم قبل القول والعمل" . والدليل قوله تعالى: }فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك{ {سورة محمد، الآية: 19}، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل[4] .

---

(1) (1) الشافعي هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي، ولد في غزة سنة 150 هـ وتوفي بمصر سنة 204 هـ وهو أحد الأئمة الأربعة على الجميع رحمة الله تعالى .

(2) (2) مراده رحمه الله أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة.

وقوله: "لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم" لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلا بد أن يسعى إلى تخليص نفسه من الخسران وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر .

(3) (3) البخاري هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخاري في شوال سنة أربعة وتسعين ومائة ونشأ يتيماً في حجر والدته، وتوفي رحمه الله في خرتنك بلدة على فرسخين من سمرقند ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

(4) (4) استدل البخاري رحمه الله بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل

. . . .
. . . .

القول والعمل وهذا دليل أثري يدل على أن الإنسان يعلم أولاً ثم يعمل ثانياً، وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعلم، ولكن هناك أشياء يعلمها الإنسان بفطرته كالعلم بأن الله إله واحد فإن هذا قد فطر عليه العبد ولهذا لا يحتاج إلى عناء كبير في التعلم، أما المسائل الجزئية المنتشرة فهي التي تحتاج إلى تعلم وتكريس جهود.

اعلم رحمك الله: أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث مسائل والعمل بهن، الأولى: أن الله خلقنا[1] . . . .

---

(1) (1) ودليل ذلك أعني أن الله خلقنا سمعي وعقلي:
أما السمعي فكثير ومنه قوله عز وجل: ﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ﴾ {سورة الأنعام، الآية: 2} وقوله: ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ {سورة الأعراف، الآية: 11} الآية ، وقوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأٍ مسنون﴾ {سورة الحجر، الآية: 26} وقوله: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ {سورة الروم، الآية: 20} وقوله: ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ {سورة الرحمن، الآية: 14} وقوله : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ {سورة الزمر، الآية: 62}وقوله : ﴿ والله خلقكم وما تعملون﴾ {سورة الصافات، الآية: 96} وقوله : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ {سورة الذاريات، الآية: 56} إلى غير ذلك من الآيات. أما الدليل العقلي على أن الله خلقنا فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ {سورة الطور، الآية: 35} فإن الإنسان لم يخلق نفسه لأنه قبل وجوده عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجد؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث ؛ ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام البديع والتناسق المتآلف يمنع منعاً باتاً أن يكون صدفة. إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره، فتعين بهذا أن يكون الخالق هو الله وحده فلا خالق ولا آمر إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ ألا له الخلق والأمر﴾ {سورة الأعراف، الآية: 54}

ورزقنا [1]

. . . . .

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا على وجه المكابرة كما حصل من فرعون، وعندما سمع جبير بن مطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ قوله تعالى: }أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون { {سورة الطور، الآيات: 35-37} وكان جبير ابن مطعم يومئذ مشركاً قال: "كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي". [1]

(1) (1) أدلة هذه المسألة كثيرة من الكتاب والسنة والعقل أما الكتاب: فقال الله تعالى: }إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين{ {سورة الذاريات، الآية: 58} وقال تعالى: } * قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله{ {سورة سبأ، الآية: 24} وقوله: } قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله{ {سورة يونس، الآية: 31} والآيات في هذا كثيرة .

وأما السنة: فمنها قوله صلى الله عليه وسلم في الجنين : (يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه ، وأجله، وعمله ، وشقي أم سعيد.) [2]

وأما الدليل العقلي على أن الله رزقنا فلأننا لا نعيش إلا على طعام وشراب، والطعام والشراب خلقه الله عز وجل كما قال الله تعالى: } أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجلعناه حطاماً فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا

([1] البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور .

([2] البخاري، كتاب القدر . ومسلم، كتاب القدر.

تشكرون﴾ {سورة الواقعة، الآيات: 63-70} ففي هذه الآيات بيان أن رزقنا طعاماً وشراباً من عند الله عز وجل.

ولم يتركنا هملاً [1] بل أرسل إلينا رسولاً [2] . . . .

---

(1) (1) هذا هو الواقع الذي تدل عليه الأدلة السمعية والعقلية:
أما السمعية فمنها قوله تعالى: } أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو { {سورة المؤمنون، الآيتان: 115-116}
وقوله: } أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى { {سورة القيامة، الآيات: 36-40} .
وأما العقل: فلأن وجود هذه البشرية لتحيا ثم تتمتع كما تتمتع الأنعام ثم تموت إلى غير بعث ولا حساب أمر لا يليق بحكمة الله عز وجل بل هو عبث محض، ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة ويرسل إليها الرسل ويبيح لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل عليهم الصلاة والسلام ثم تكون النتيجة لا شيء، هذا مستحيل على حكمة الله عز وجل.
(2) أي إن الله عز وجل أرسل إلينا معشر هذه الأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً يتلو علينا آيات ربنا، ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، كما أرسل إلى من قبلنا، قال الله تبارك وتعالى : } وإن من أمة إلا خلا فيها نذير{ {سورة فاطر، الآية: 24} ولا بد أن يرسل الله الرسل إلى الخلق لتقوم عليهم الحجة وليعبدوا الله بما يحبه ويرضاه قال الله تبارك وتعالى : } إنا أوحينا إليك

فمن أطاعه دخل الجنة[1]

....

كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً* ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴿ {سورة النساء، الآيات: 163-165} ولا يمكن أن نعبد الله بما يرضاه إلا عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنهم هم الذين بينوا لنا ما يحبه الله ويرضاه، وما يقربنا إليه عز وجل فبذلك كان من حكمة الله أن أرسل إلى الخلق رسلاً مبشرين ومنذرين الدليل قوله تعالى : ﴾ إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً﴿ {سورة المزمل، الآيتان: 16.15}.

(1) (1)هذا حق مستفاد من قوله تعالى: ﴾ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون * وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين ﴿ {سورة آل عمران، الآيتان: 132-133} ومن قوله تعالى: ﴾ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴿ {سورة النساء، الآية: 13} ومن قوله تعالى:﴾ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴿ {سورة النور، الآية: 52} وقوله:﴾ ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴿ {سورة النساء، الآية :69}. وقوله: ﴾ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴿ {سورة الأحزاب، الآية: 71} والآيات في ذلك كثيرة .

ومن عصاه دخل النار [1] والدليل قوله تعالى: } إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً { {سورة المزمل، الآيتان: 15-16}. الثانية: [2] أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل. والدليل قوله تعالى: } وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً{ {سورة الجن، الآية: 18} .

=ومن قوله صلى الله عليه وسلم : "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" فقيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار" رواه البخاري.

(1) (1) هذا أيضاً حق مستفاد من قوله تعالى: } ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين { {سورة النساء، الآية: 14} وقوله: } ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضللاً مبيناً { {سورة الأحزاب، الآية: 36} وقوله } ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً { {سورة الجن، الآية: 23} ومن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: "ومن عصاني دخل النار".

(2) (2) أي المسألة الثانية مما يجب علينا علمه أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، بل هو وحده المستحق للعبادة ودليل ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله من قوله تعالى: }وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً{ {سورة الجن، الآية: 18} فنهى الله تعالى أن يدعو الإنسان مع الله أحداً،

الثالثة[1] أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب، والدليل قوله تعالى:

والله لا ينهى عن شيء إلا وهو لا يرضاه سبحانه وتعالى وقال الله عز وجل: } إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم { {سورة الزمر، الآية: 7}، وقال تعالى: }فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين{ {سورة التوبة، الآية: 96}، فالكفر والشرك لا يرضاه الله سبحانه وتعالى بل إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لمحاربة الكفر والشرك والقضاء عليهما، قال الله تعالى: } وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله{ {سورة الأنفال، الآية: 39} وإذا كان الله لا يرضى بالكفر والشرك فإن الواجب على المؤمن أن لا يرضى بهما، لأن المؤمن رضاه وغضبه تبع رضا الله وغضبه، فيغضب لما يغضب الله ويرضى بما يرضاه الله عز وجل، وكذلك إذا كان الله لا يرضى الكفر ولا الشرك فإنه لا يليق بمؤمن أن يرضى بهما. والشرك أمره خطير قال الله عز وجل: } إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء{ {سورة النساء، الآية: 48} وقال تعالى: } إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار{ {سورة المائدة، الآية: 72} وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار" [1] رواه مسلم.

(1) (1) أي المسألة الثالثة مما يجب علينا علمه الولاء والبراء، والولاء والبراء

([1])رواه البخــاري، كتــاب العلم، بــاب : من خص من قــوم كراهية أن لا يفهمــوا. ومسلم، كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

} لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون * { {سورة المجادلة، الآية: 22}.

أصل عظيم جاءت فيه النصوص الكثيرة قال الله عز وجل: } يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً{ {سورة آل عمران، الآية: 118}. وقال تعالى: } ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين{ {سورة المائدة، الآية: 51} وقال سبحانه وتعالى: } يأيها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين{ {سورة المائدة، الآية: 57} وقال تعالى: } ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون * قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين{ {سورة التوبة، الآيتان: 23-24}. وقال عز وجل: } قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله

...

كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴿ {سورة الممتحنة، الآية: 4} الآية.
ولأن موالاة من حاد الله ومداراته تدل على أن ما في قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف ؛ لأنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئاً هو عدو لمحبوبه، وموالاة الكفار تكون بمناصرتهم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموادتهم تكون بفعل الأسباب التي تكون بها مودتهم فتجده يوادهم أي يطلب ودهم بكل طريق، وهذا لا شك ينافي الإيمان كله أو كماله، فالواجب على المؤمن معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته للحق.

اعلم [1] أرشدك الله [2] لطاعته [3]: أن الحنيفية [4] ملة [5] إبراهيم [6]: أن تعبد الله وحده [7] مخلصاً له الدين [8]

. . . . .

---

(1) (1) تقدم الكلام على العلم فلا حاجة إلى إعادته هنا.
(2) (2) الرشد: الاستقامة على طريق الحق.
(3) (3) الطاعة: موافقة المراد فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور .
(4) (4) الحنيفية: هي الملة المائلة عن الشرك، المبنية على الإخلاص لله عز وجل .
(5) (5) أي طريقه الديني الذي يسير عليه عليه الصلاة والسلام.
(6) (6) إبراهيم هو خليل الرحمن قال عز وجل: } واتخذ الله إبراهيم خليلاً{ {سورة النساء، الآية: 125} وهو أبو الأنبياء وقد تكرر ذكر منهجه في مواضع كثيرة للاقتداء به.
(7) (7) قوله : "أن تعبد الله" هذه خبر "أن" في قوله : "أن الحنيفية" والعبادة بمفهومها العام هي "التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه". أما المفهوم الخاص للعبادة-يعني تفصيلها- فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل والصلاة والزكاة، والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام" .
(8) (8) الإخلاص هو التنقية والمراد به هنا أن يقصد المرء بعبادته وجه الله عز وجل والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكاً مقرباً ولا نبياً

وبذلك [1] أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال الله تعالى: } وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون { {سورة الذاريات، الآية: 56} ومعنى يعبدون يوحدون[2] . . . .

مرسلاً قال الله تعالى: } ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين{ {سورة النحل، الآية: 123} . وقال الله تعالى: } ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين* ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون{ {سورة البقرة، الآيات: 130-132}.

(1) (1) أي بالحنيفية وهي عبادة الله مخلصاً له الدين أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال الله تعالى : } وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون{ {سورة الأنبياء، الآية: 25}

وبين الله عز وجل في كتابه أن الخلق إنما خلقوا لهذا فقال تعالى : } وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون{ {سورة الذاريات، الآية:56} .

(2) (2) يعني التوحيد من معنى العبادة وإلا فقد سبق لك معنى العبادة وعلى أي شيء تطلق وأنها أعم من مجرد التوحيد.

واعلم أن العبادة نوعان:

عبادة كونية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى:} إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً{ {سورة مريم، الآية: 93} فهي شاملة للمؤمن والكافر،

وأعظم ما أمر الله به التوحيد وهو: إفراد الله بالعبادة [1] ....

و البر والفاجر .
والثاني: عبادة شرعية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى واتبع ما جاءت به الرسل مثل قوله تعالى: } وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا{W {سورة الفرقان، الآية: 63}. فالنوع الأول لا يحمد عليه الإنسان لأنه بغير فعله لكن قد يحمد على ما يحصل منه من شكر عند الرخاء وصبر على البلاء بخلاف النوع الثاني فإنه يحمد عليه.

(1) (1) التوحيد لغة مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات،نفي الحكم عما سوى الموحد وإثباته له فمثلاً نقول: إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ويثبتها لله وحده.

وفي الاصطلاح عرفه المؤلف بقوله: "التوحيد هو إفراد الله بالعبادة" أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، لا تشرك به نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً ولا رئيساً ولا ملكاً ولا أحداً من الخلق، بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيماً، ورغبة ورهبة، ومراد الشيخ رحمه الله التوحيد الذي بعثت الرسل لتحقيقه لأنه هو الذي حصل به الإخلال من أقوامهم.
وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: "إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به" .

وأنواع التوحيد ثلاثة:
الأول: توحيد الربوبية وهو "إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك

. . . .

والتدبير" قال الله عز وجل: ﴿ الله خالق كل شيء﴾ {سورة الزمر، الآية: 62} وقال تعالى: ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو ﴾ {سورة فاطر، الآية: 3} وقال تعالى : ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ {سورة الملك، الآية: 1} وقال تعالى: ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ {سورة الأعراف، الآية: 54}.

الثاني: توحيد الألوهية وهو "إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بألا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه".

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو "إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل".

ومراد المؤلف هنا توحيد الألوهية وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم،، وأكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد. قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ان أعبدوا الله﴾ {سورة النحل، الآية: 36}.

فالعبادة لا تصح إلا لله عز وجل، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، فلو فرض أن رجلاً يقر إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ولكنه يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه فإنه

وأعظم ما نهى عنه الشرك . وهو: دعوة غيره معه والدليل قوله تعالى: ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ [1] {سورة النساء الآية: 36}.

مشرك كافر خالد في النار قال الله تعالى: ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ {سورة المائدة، الآية: 72} وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله به لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله، ولهذا بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله، وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به.

(1) أعظم ما نهى الله عنه الشرك وذلك لأن أعظم الحقوق هو حق الله عز وجل فإذا فرط فيه الإنسان فقد فرط في أعظم الحقوق هو توحيد الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ {سورة لقمان، الآية:13} وقال تعالى: ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ {سورة النساء، الآية: 48} وقال عز وجل: ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ {سورة النساء، الآية: 116} وقال تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ {سورة المائدة، الآية: 72} وقال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ {سورة النساء الآية: 48} وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أعظم الذنب أن تجعل لله نداً وهو خلقك"[1] وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم عن جابر، رضي الله عنه: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار" [2] وقال

---

[1] رواه البخاري كتاب التوحيد، باب : قوله تعالى: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك". ومسلم، كتاب الإيمان، باب : كون الشرك أقبح الذنوب.

[2] رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

فإذا قيل لك: ما الأصول[1] الثلاثة التي يجب على الإنسان . . . . .

النبي صلى الله عليه وسلم : "من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار" [1] رواه البخاري .

واستدل المؤلف رحمه الله تعالى لأمر الله تعالى بالعبادة ونهيه عن الشرك بقوله عز وجل: }*واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً{ {سورة النساء، الآية: 36}
فأمر الله سبحانه وتعالى بعبادته ونهى عن الشرك به، وهذا يتضمن إثبات العبادة له وحده فمن لم يعبد الله فهو كافر مستكبر، ومن عبد الله وعبد معه غيره فهو كافر مشرك، ومن عبد الله وحده فهو مسلم مخلص.
والشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر.
فالنوع الأول: الشرك الأكبر وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمناً لخروج الإنسان عن دينه.
النوع الثاني: الشرك الأصغر وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج من الملة.
وعلى الإنسان الحذر من الشرك أكبره وأصغره فقد قال تعالى: } إن الله لا يغفر أن يشرك به{ {سورة النساء الآية: 48} . قال بعض أهل العلم : هذا الوعيد يشمل كل شرك ولو كان أصغر.

(1) (1) الأصول جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان، قال الله تعالى: }ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء{ {سورة إبراهيم، الآية: 24}.

([1]) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة باب قوله تعـالى: }ومن النـاس من يتخذ من دون الله أنداداً { الآية: 165.

معرفتها [1] ؟ فقل: معرفة العبد ربه [2] ....

وهذه الأصول الثلاثة يشير بها المصنف رحمه إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره: من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟
(2) (2) أورد المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسألة بصيغة السؤال وذلك من أجل أن ينتبه الإنسان لها ؛ لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة ؛ وإنما قال: إن هذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها لأنها هي الأصول التي يسال عنها المرء في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فأقعداه فسألاه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فأما المؤمن فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، وأما المرتاب أو المنافق فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.
(1) (2) معرفة الله تكون بأسباب:
منها النظر والتفكر في مخلوقاته عز وجل فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وتمام قدرته، وحكمته، ورحمته قال الله تعالى: } أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء{ {سورة الأعراف، الآية: 185}. وقال عز وجل: } إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا{ {سورة سبأ، الآية: 46} وقال تعالى: } إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب{ {سورة آل عمران، الآية: 190} وقال عز وجل: } إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون{ {سورة يونس، الآية: 6} وقال سبحانه وتعالى: } إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض

ودينه [1] . . . .
. . . .

بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون} {سورة البقرة، الآية: 164}.
ومن أسباب معرفة العبد ربه النظر في آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فينظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمة التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها، فإذا نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربه عز وجل كما قال الله عز وجل : } أفلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً} {سورة النساء، الآية: 82} .
ومنها ما يلقي الله عز وجل في قلب المؤمن من معرفة الله سبحانه وتعالى حتى كأنه يرى ربه رأي العين قال النبي عليه الصلاة والسلام حين سأله جبريل ما الإحسان ؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". [1]
(1) أي معرفة الأصل الثاني وهو دينه الذي كلف العمل به وما تضمنه من الحكمة والرحمة ومصالح الخلق، ودرء المفاسد عنها، ودين الإسلام من تأمله حق التأمل تأملاً مبنياً على الكتاب والسنة عرف أنه دين الحق، وأنه الدين الذي لا تقوم مصالح الخلق إلا به، ولا ينبغي أن نقيس الإسلام بما عليه المسلمون اليوم، فإن المسلمين قد فرطوا في أشياء كثيرة وارتكبوا

([1] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أركان الإيمان والإسلام.

ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم [1]
فإذا قيل لك: من ربك[2] ؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه[3]، . . . .

محاذير عظيمة حتى كأن العائش بينهم في بعض البلاد الإسلامية يعيش في جو غير إسلامي.
والدين الإسلامي –بحمد الله تعالى- متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة متميز عليها بكونه صالحاً لكل زمان ومكان وأمة، ومعنى كونه صالحاً لكل زمان ومكان وأمة: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان أو مكان بل هو صلاحها وليس معناه أنه خاضع لكل زمان ومكان وأمة، فدين الإسلام يأمر بكل عمل صالح وينهى عن كل عمل سيئ فهو يأمر بكل خلق فاضل، وينهى عن كل خلق سافل.

(1) (1) هذا هو الأصل الثالث وهو معرفة الإنسان نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وتحصل بدراسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه من العبادة، والأخلاق، والدعوة إلى الله عز وجل، والجهاد في سبيله وغير ذلك من جوانب حياته عليه الصلاة والسلام، ولهذا ينبغي لكل إنسان يريد أن يزداد معرفة بنبيه وإيماناً به أن يطالع من سيرته ما تيسر في حربه وسلمه، وشدته ورخائه وجميع أحواله نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المتبعين لرسوله صلى الله عليه وسلم، باطناً وظاهراً، وأن يتوفانا على ذلك إنه وليه والقادر عليه.

(2) (2) أي من هو ربك الذي خلقك، وأمدك، وأعدك، ورزقك .

(3) (3) التربية هي عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربى، ويشعر

وهو معبودي ليس لي معبود سواه [1] والدليل قوله تعالى: }الحمد لله رب العالمين{ [2] {سورة الفاتحة، الآية: 2} وكل ما سوى الله عالم

كلام المؤلف رحمه الله أن الرب مأخوذ من التربية لأنه قال: "الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه" فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه وأعدهم لما خلقوا له، وأمدهم برزقه قال الله تبارك وتعالى في محاورة موسى وفرعون: } فمن ربكما يا موسى * قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى { {سورة طه، الآيتان: 49-50}. فكل أحد من العالمين قد رباه الله عز وجل بنعمه.
ونعم الله عز وجل على عباده كثيرة لا يمكن حصرها قال الله تبارك وتعالى: } وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها { {سورة النحل، الآية: 18} فالله هو الذي خلقك وأعدك، وأمدك ورزقك فهو وحده المستحق للعبادة .
(1) (1) أي وهو الذي أعبده وأتذلل له خضوعاً ومحبة وتعظيماً، أفعل ما يأمرني به، وأترك ما ينهاني عنه، فليس لي أحد أعبده سوى الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: } وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون { {سورة الأنبياء الآية: 25} وقال تعالى: } وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة{ {سورة البينة، الآية: 5}.
(2) (2) استدل المؤلف رحمه الله لكون الله سبحانه وتعالى مربياً لجميع الخلق بقوله تعالى : } الحمد لله رب العالمين{ {سورة الفاتحة، الآية: 2} يعني الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله تعالى وحده.
}رب العالمين{ أي مربيهم بالنعم وخالقهم ومالكهم، والمدبر لهم كما يشاء عز وجل.

وأنا واحد من ذلك العالم [1]، فإذا قيل لك : بم عرفت ربك [2] ؟ فقل : بآياته ومخلوقاته [3] ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما [4] .

---

(1) (1) العالم كلَ من سوى الله، وسُمّوا عالماً لأنهم علم على خالقهم ومالكهم ومدبرهم ففي كل شيء آية لله تدل على أنه واحد.

وأنا المجيب بهذا واحد من ذلك العالم، وإذا كان ربي وجب علي أن أعبده وحده.

(2) (2) أي إذا قيل لك: بأي شيء عرفت الله عز وجل؟

فقل: عرفته بآياته ومخلوقاته.

(3) (3) الآيات: جمع آية وهي العلامة على الشيء التي تدل عليه وتبينه.

وآيات الله تعالى نوعان: كونية وشرعية، فالكونية هي المخلوقات، والشرعية هي الوحي الذي أنزله الله على رسله، وعلى هذا يكون قول المؤلف رحمه الله : "بآياته ومخلوقاته" من باب عطف الخاص على العام إذا فسرنا الآيات بأنها الآيات الكونية والشرعية أو من باب عطف المباين المغاير إذا خصصنا الآيات بالآيات الشرعية. وعلى كل فالله عز وجل يعرف بآياته الكونية وهي المخلوقات العظيمة وما فيها من عجائب الصنعة وبالغ الحكمة، وكذلك يعرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل، والاشتمال على المصالح، ودفع المفاسد .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(4) كل هذه من آيات الله الدالة على كمال القدرة، وكمال الحكمة، وكمال

....
....

الرحمة، فالشمس آية من آيات الله عز وجل لكونها تسير سيراً منتظماً بديعاً منذ خلقها الله عز وجل وإلى أن يأذن الله تعالى بخراب العالم، فهي تسير لمستقر لها كما قال تعالى: } والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم { {سورة يس، الآية: 38} وهي من آيات الله تعالى بحجمها وآثارها، أما حجمها فعظيم كبير، وأما آثارها فما يحصل منها من المنافع للأجسام والأشجار والأنهار، والبحار وغير ذلك، فإذا نظرنا إلى الشمس هذه الآية العظيمة ما مدى البعد الذي بيننا وبينها ومع ذلك فإننا نجد حرارتها هذه الحرارة العظيمة، ثم انظر ماذا يحدث فيها من الإضاءة العظيمة التي يحصل بها توفير أموال كثيرة على الناس فإن الناس في النهار يستغنون عن كل إضاءة ويحصل بهذا مصلحة كبيرة للناس من توفير أموالهم ويعد هذا من الآيات التي لا ندرك إلا اليسير منها.

كذلك القمر من آيات الله عز وجل حيث قدره منازل لكل ليلة منزلة } والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم{ {سورة يس، الآية: 39} فهو يبدو صغيراً ثم يكبر رويداً رويداً حتى يكمل ثم يعود إلى النقص، وهو يشبه الإنسان حيث إنه يخلق من ضعف ثم لا يزال يترقى من قوة إلى قوة حتى يعود إلى الضعف مرة أخرى فتبارك الله أحسن الخالقين.

والدليل[1] قوله تعالى: ﴾ ومن آياته الليل والنهار والشمس وللقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴿ {سورة فصلت، الآية: 37} وقوله [2] تعالى:
﴾ إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة ايام ثم أستوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴿ {سورة الأعراف، الآية: 54}.

---

(1) (1) أي والدليل على أن الليل والنهار، والشمس والقمر من آيات الله عز وجل قوله تعالى: ﴾ ومن آياته الليل والنهار﴿ . . . . إلخ أي من العلامات البينة المبينة لمدلولها الليل والنهار في ذاتهما واختلافهما، وما أودع الله فيهما من مصالح العباد وتقلبات أحوالهم، وكذلك الشمس والقمر في ذاتهما وسيرهما وانتظامهما وما يحصل بذلك من مصالح العباد ودفع مضارهم .
ثم نهى الله تعالى العباد أن يسجدوا للشمس أو القمر وإن بلغا مبلغاً عظيماً في نفوسهم لأنهما لا يستحقان العبادة لكونهما مخلوقين، وإنما المستحق للعبادة هو الله تعالى الذي خلقهن.
(2) (2) وقوله أي من الأدلة على أن الله خالق السماوات والأرض قوله تعالى: ﴾إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض﴿ الآية وفيها من آيات الله:
أولاً: أن الله خلق هذه المخلوقات العظيمة في ستة أيام ولو شاء لخلقها

. . . .

بلحظة ولكنه ربط المسببات بأسبابها كما تقتضيه حكمته .

ثانياً: أنه استوى على العرش أي علا عليه علواً خاصاً به كما يليق بجلاله وعظمته وهذا عنوان كمال الملك والسلطان.

ثالثاً: أنه يغشي الليل النهار أي يجعل الليل غشاء للنهار، أي غطاء له فهو كالثوب يسدل على ضوء النهار فيغطيه.

رابعاً: أنه جعل الشمس والقمر والنجوم مذللات بأمره جل سلطانه يأمرهن بما يشاء لمصلحة العباد .

خامساً: عموم ملكه وتمام سلطانه حيث كان له الخلق والأمر لا لغيره.

سادساً: عموم ربوبيته للعالمين كلهم.

والرب هو المعبود [1] والدليل [2] قوله تعالى: } ياأيها الناس [3] اعبدوا ربكم الذي خلقكم [4] والذين من قبلكم لعلكم تتقون .[5] الذي

---

(1) (1) يشير المؤلف رحمه الله تعالى إلى قول الله عز وجل: } إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين{ {سورة الأعراف، الآية: 54}. فالرب هو المعبود أي هو الذي يستحق أن يعبد أو هو الذي يعبد لاستحقاقه للعبادة وليس المعنى أن كل من عبد فهو رب فالآلهة التي تعبد من دون الله واتخذها عبادها أرباباً من دون الله ليست أرباباً، والرب هو: الخالق، المالك، المدبر لجميع الأمور.

(2) (2) أي الدليل على أن الرب هو المستحق للعبادة.

(3) (3) النداء موجه لجميع الناس من بني آدم أمرهم الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له.
فلا يجعلوا له أنداداً، ويبين أنه إنما استحق العبادة لكونه هو الخالق وحده لا شريك له.

(4) (4) قوله } الذي خلقكم{ هذه صفة كاشفة تعلل ما سبق اي أعبدوه لأنه ربكم الذي خلقكم فمن أجل كونه الرب الخالق كان لزاماً عليكم أن تعبدوه، ولهذا نقول : يلزم كل من أقر بربوبية الله أن يعبده وحده وإلا كان متناقضاً.

(5) (5) أي من أجل أن تحصلوا على التقوى، والتقوى هي اتخاذ وقاية من عذاب الله عز وجل باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

جعل لكم الأرض فراشاً [1] والسماء بناء [2] وأنزل من السماء ماء [3] فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم [4] فلا تجعلوا لله أنداداً [5] وأنتم تعلمون﴾ [6] {سورة البقرة، الآيتان: 21-22}.

---

(1) (1) أي جعلها فراشاً ومهاداً نستمتع فيها من غير مشقة ولا تعب كما ينام الإنسان على فراشه.

(2) (2) أي فوقنا لأن البناء يصير فوق السماء بناء لأهل الأرض وهي سقف محفوظ كما قال الله تعالى: ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظاً وهم عن ءاياتها معرضون﴾ {سورة الأنبياء، الآية: 32}.

(3) (3) أي أنزل من العلو من السحاب ماء طهوراً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون، كما في سورة النحل.

(4) (4) أي عطاء لكم وفي آية أخرى: ﴿ متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ {سورة عبسى، الآية: 32}.

(5) (5) أي لا تجعلوا لهذا الذي خلقكم، وخلق الذين من قبلكم، وجعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء، وأنزل لكم من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم لا تجعلوا له أنداداً تعبدونها كما تعبدون الله، أو تحبونها كما تحبون الله فإن ذلك غير لائق بكم لا عقلاً ولا شرعاً.

(6) (6) أي تعلمون أنه لا ند له وأنه بيده الخلق والرزق والتدبير فلا تجعلوا له شريكاً في العبادة.

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى [1] _: "الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة "
وأنواع العبادة التي أمر الله بها [2]: مثل الإسلام، والإيمان،

---

(1) (1) هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي الحافظ المشهور صاحب التفسير والتاريخ من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية توفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة.
(2) (2) لما بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الواجب علينا أن نعبد الله وحده لا شريك له، بين فيما يأتي شيئاً من أنواع العبادة فقال: وأنواع العبادة مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان.
وهذه الثلاثة الإسلام، والإيمان، والإحسان هي الدين كما جاء ذلك فيما رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخديه، قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال : صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال : أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه

والإحسان؛ ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى [1] . والدليل قوله تعالى: } وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً{ {سورة الجن، الآية: 18}، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر، والدليل قوله تعالى: } ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون { [2] {سورة المؤمنون، الآية: 117}.

فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال : فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" [1] فجعل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأشياء هي الدين وذلك أنها متضمنة للدين كله.

(1) (1) أي كل أنواع العبادة مما ذكر وغيره لله وحده لا شريك له فلا يحل صرفها لغير الله تعالى .

(2) (2) ذكر المؤلف رحمه الله تعالى جملة من أنواع العبادة وذكر أن من صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر واستدل بقول الله تعالى: } وأن المساجد لله

([1] تقدم تخريجه ص 40، وانظر : شرح الحديث في " مجموع الفتاوى والرسائل" لفضيلة شيخنا- حفظه الله ورعاه – المجلد الثالث، ص 145

وفي الحديث: "الدعاء مخ العبادة" . والدليل قوله تعالى: } وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين { [1] {سورة غافر، الآية: 60}.

فلا تدعوا مع الله أحداً{ وبقوله: } ومن يدع مع الله إلهاً ءاخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون { ووجه الدلالة من الآية الأولى أن الله تعالى أخبر أن المساجد وهي مواضع السجود أو أعضاء السجود لله ورتب على ذلك قوله: } فلا تدعوا مع الله أحداً { أي لا تعبدوا معه غيره فتسجدوا له، ووجه الدلالة من الآية الثانية بأن الله سبحانه وتعالى بين أن من يدعو مع الله إلهاً آخر فإنه كافر لأنه قال : } إنه لا يفلح الكافرون{ وفي قوله : } لا برهان له به{ إشارة إلى أنه لا يمكن أن يكون برهان على تعدد الآلهة فهذه الصفة } لا برهان له به{ صفة كاشفة مبينة للأمر وليست صفة مقيدة تخرج ما فيه برهان لأنه لا يمكن أن يكون برهان على أن مع الله إلهاً آخر.

(1) هذا شروع من المؤلف رحمه الله تعالى في أدلة أنواع العبادة التي ذكرها في قوله: "وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان ومنه الدعاء . . " إلخ، فبدأ رحمه الله بذكر الأدلة على الدعاء وسيأتي إن شاء الله تفصيل أدلة الإسلام والإيمان والإحسان. واستدل المؤلف رحمه الله بما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " الدعاء مخ العبادة " [1] واستدل كذلك بقوله تعالى: } وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين { فدلت الآية

---

[1] أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب : فضل الدعاء. وقال: حـديث غـريب من هذا الوجه.

ودليل الخوف قوله تعالى: } فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين{ [1] {سورة آل عمران، الآية: 175}، ....

الكريمة على أن الدعاء من العبادة ولولا ذلك ما صح أن يقال: } إن الذين يستكبرون عن عبادتي{ فمن دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حياً أو ميتاً . ومن دعا حياً بما يقدر عليه مثل أن يقول : يا فلان أطعمني، يا فلان أسقني فلا شيء فيه، ومن دعا ميتاً أو غائباً بمثل هذا فإنه مشرك لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً في الكون فيكون بذلك مشركاً.

واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

فدعاء المسألة هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة كما سبق في قول القائل : يا فلان أطعمني.

وأما دعاء العبادة فأن يتعبد به للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج عن الملة وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: } إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين { {سورة غافر، الآية: 60}.

(1) (1) الخوف هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

ودليل الرجاء قوله تعالى: } فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً{ [1] {سورة الكهف، الآية: 110} . . . .

والخوف ثلاثة أنواع:
النوع الأولى: خوف طبيعي كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: } فأصبح في المدينة خائفاً يترقب{ {سورة القصص، الآية: 18} لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ رحمه الله سبباً لترك واجب أو فعل محرم كان حراماً ؛ لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليله قوله تعالى: } فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين { {سورة آل عمران، الآية: 175} .
والخوف من الله تعالى يكون محموداً، ويكون غير محمود.
فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه. وغير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه.
النوع الثاني: خوف العبادة أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.
النوع الثالث: خوف السر كأن يخاف صاحب القبر، أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك.
(1) الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال

ودليل التوكل قوله تعالى: } وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين{ {سورة المائدة، الآية: 23}،
وقال: } ومن يتوكل على الله فهو حسبه{ [1] {سورة الطلاق، الآية: 3} . . . .

تنزيلاً له منزلة القريب.
والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي . وقد استدل المؤلف له بقوله تعالى: } فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً{ .
واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم.
(1) (1) التوكل على الشيء الاعتماد عليه. والتوكل على الله تعالى: الاعتماد على الله تعالى كفاية وحسباً في جلب المنافع ودفع المضار وهو من تمام الإيمان وعلاماته لقوله تعالى: } وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين{ وإذا صدق العبد في اعتماده على الله تعالى كفاه الله تعالى ما أهمه لقوله تعالى: }ومن يتوكل على الله فهو حسبه{ أي كافيه ثم طمأن المتوكل بقوله: } إن الله بالغ أمره{ {سورة الطلاق، الآية: 3} فلا يعجزه شيء أراده. واعلم أن التوكل أنواع:
الأول: التوكل على الله تعالى وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه

ودليل الرغبة [1] والرهبة[2] والخشوع [3] قوله تعالى: ﴿ إنهم كانوا

وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.
الثاني: توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة، أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر ؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون، ولا فر ق بين أن يكون نبياً، أو ولياً، أو طاغوتاً عدوّاً لله تعالى.
الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه. أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله.
الرابع: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه: ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ {سورة يوسف، الآية: 87} ووكل النبي صلى الله عليه وسلم،على الصدقة عمالاً وحفاظاً، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقي من المئة بعد أن نحر صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة.

(1) (1) الرغبة: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.
(2) (2) الرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل.
(3) (3) الخشوع: الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.

يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين [1] **{سورة الأنبياء، الآية: 90}.**
ودليل الخشية قوله تعالى: فلا تخشوهم واخشوني [2] **{سورة البقرة، الآية: 150}**

---

(1) (1) في هذه الآية الكريمة وصف الله تعالى الخلص من عباده بأنهم يدعون الله تعالى رغباً ورهباً مع الخشوع له، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فهم يدعون الله رغبة فيما عنده وطمعاً في ثوابه مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبهم، والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، ويغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها، ويغلب الخوف إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.
وقال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل، وفي حال الصحة يكون نشيطاً مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.
وقيل : يكون رجاؤه وخوفه واحداً سواء لئلا يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله، والخوف على اليأس من رحمة الله تعالى، وكلاهما قبيح مهلك لصاحبه.
(2) (2) الخشية هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقول الله تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء {سورة فاطر، الآية: 28} أي العلماء بعظمته وكمال سلطانه فهي أخص من الخوف، ويتضح الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم

ودليل الإنابة قوله تعالى: } وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له{ [1] {سورة الزمر، الآية: 54}

لا فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية . ويقال في أقسام أحكام الخشية ما يقال في أقسام أحكام الخوف.

(1) (1) الإنابة الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: } وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له{ .

والمراد بقوله تعالى: } وأسلموا له{ الإسلام الشرعي وهو الاستسلام لأحكام الله الشرعية وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان:

الأول: إسلام كوني وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السماوات والأرض من مؤمن وكافر، وبر وفاجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه ودليله قوله تعالى: } وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون { {سورة آل عمران، الآية: 83} .

الثاني: إسلام شرعي وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير ومنه هذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

ودليل الاستعانة قوله تعالى: } إياك نعبد وإياك نستعين{ {سورة الفاتحة، الآية: 5} وفي الحديث " إذا استعنت فاستعن بالله"[1] .

---

(1) (1) الاستعانة طلب العون وهي أنواع:
الأول: الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى:} إياك نعبد وإياك نستعين{ ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول }إياك{ وقاعدة اللغة العربية التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركاً مخرجاً عن الملة.
الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر قادر عليه فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى: } وتعاونوا على البر والتقوى { {سورة المائدة، الآية: 2}.
وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين لقوله تعالى: }ولا تعاونوا على الإثم والعدوان{.
وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى: } وأحسنوا إن الله يحب المحسنين{ {سورة البقرة، الآية: 195} .
الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

---

[1] أخرجه الإمام أحمد 1 / 293، والترمذي 4/575 .

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: } قل أعوذ برب الفلق{ {سورة الفلق، الآية: 1} .
و} قل أعوذ برب الناس{ [1] {سورة الناس، الآية: 1}.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفيا في الكون.
الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: } استعينوا بالصبر والصلاة{ {سورة البقرة، الآية: 153}.
وقد استدل المؤلف رحمه الله تعالى للنوع الأول بقوله تعالى: } إياك نعبد وإياك نستعين { {سورة الفاتحة، الآية: 5} وقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا استعنت فاستعن بالله".[1]
(1) الاستعاذة: طلب الإعاذة والإعاذة الحماية من مكروه فالمستعيذ محتم بمن استعاذ به ومعتصم به والاستعاذة أنواع:
الأول: الاستعاذة بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر ودليلها قوله تعالى: } قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق{ إلى آخر السورة وقوله تعالى: } قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس *من شر الوسواس الخناس{ إلى آخر السورة.

---

(1) تقدم قريباً .

. . . .

الثاني: الاستعاذة بصفة من صفاته ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" [(1)] وقوله: "أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي" [(2)] وقوله في دعاء الألم : "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" [(3)]، وقوله : " أعوذ برضاك من سخطك" [(4)] ، وقوله صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى : } قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم { {سورة الأنعام، الآية: 65} فقال: "أعوذ بوجهك" [(5)]

الثالث: الاستعاذة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ فهذا شرك ومنه قوله تعالى: } وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً { {سورة الجن، الآية: 6} .

الرابع: الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز ودليله قوله صلى الله عليه وسلم في ذكر الفتن: "من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذبه" [(6)] متفق عليه وقد بين صلى الله عليه وسلم هذا الملجأ والمعاذ بقوله: "فمن كان له إبل فليلحق بإبله" الحديث رواه مسلم، وفي صحيحه أيضاً عن جابر رضي الله عنه أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتي

[(1)] أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

[(2)] أخرجه الإمام أحمد 2/25، والنسائي 8 /677 .

[(3)] أخرجه الإمام أحمد 4/217، وأبو داود (3891)، وابن ماجه (2522) .

[(4)] أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب : ما يقال في الركوع والسجود.

[(5)] أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب : قوله تعالى: "أو يلبسكم شيعاً " .

[(6)] أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب: تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم. ومسلم، كتاب الفتن، باب: نزول الفتن كمواقع القطر.

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: } إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم{ [1] {سورة الأنفال، الآية: 9}

بها النبي صلى الله عليه وسلم فعاذت بأم سلمة [1] الحديث، وفي صحيحه أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث" [2]
الحديث.
ولكن إن استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذته بقدر الإمكان، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه.
(1) (1) الاستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، وهو أقسام:
الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله } إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين{ وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: " اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض" [3] وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله هذه الآية.

([1] رواه مسلم، كتاب الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره.

([2] أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب : الخسف بالجيش يؤم البيت.

([3] أخرجه مسلم، كتاب الجهاد، باب : الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.

ودليل الذبح قوله تعالى: } قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له{ {سورة الأنعام، الآيتان: 162- 163} ومن السنة: "لعن الله من ذبح لغير الله".[1]

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك ؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: }أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون{ {سورة النمل، الآية: 62}.
الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: } فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه{ {سورة القصص، الآية: 15}.
الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة.
(1) (1) الذبح إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص ويقع على وجوه .
الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله وهو قوله تعالى: } قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له{.

([1] أخرجه مسلم، كتاب الأضاحي، باب : تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

ودليل النذر [1] قوله تعالى: } يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً { {سورة الإنسان، الآية: 7} . . . .

الثاني: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً لقوله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه" [1] وقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف : "أولم ولو بشاة" [2] .

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: } أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون { {سورة يس، الآيتان: 71، 72} وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسب ما يكون وسيلة له.

(1) (1) أي دليل كون النذر من العبادة قوله تعالى: } يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً { .

(2) (2) وجه الدلالة من الآية أن الله أثنى عليهم لإيفائهم بالنذر وهذا يدل على أن الله يحب ذلك، وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة.

ويؤيد ذلك قوله: } ويخافون يوماً كان شره مستطيراً { . واعلم أن النذر الذي امتدح الله تعالى هؤلاء القائمين به هو جميع العبادات التي فرضها الله عز وجل فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها

([1] أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. ومسلم، كتاب اللقطة، باب: الضيافة ونحوها.

([2] أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب: ما جاء في قوله تعالى : "فإذا قضيت الصلاة" . مسلم، كتاب النكاح، باب : الصداق وجواز كونه تعليم القران وخاتم الحديد.

الأصل الثاني: [1]: معرفة دين الإسلام بالأدلة وهو: الاستسلام [2] لله بالتوحيد [3]. . . . . .

الإنسان فقد التزم بها ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ {سورة الحج، الآية: 29} .
والنذر الذي هو إلزام الإنسان نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة مكروه، وقال بعض العلماء : إنه محرم لأن النبي صلى الله عليه وسلم، نهى عن النذر وقال: "إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل" [1] ومع ذلك فإذا نذر الإنسان طاعة لله وجب عليه فعلها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من نذر أن يطيع الله فليطعه" [2] .
والخلاصة أن النذر يطلق على العبادات المفروضة عموماً، ويطلق على النذر الخاص وهو إلزام الإنسان نفسه بشيء لله عز وجل وقد قسم العلماء النذر الخاص إلى أقسام ومحل بسطها كتب الفقه.
(1) (1) أي من الأصول الثلاثة: معرفة دين الإسلام بالأدلة يعني أن يعرف دين الإسلام بأدلته من الكتاب والسنة.
(2) (2) دين الإسلام وإن شئت فقل : الإسلام هو "الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله" فهو متضمن لأمور ثلاثة.
(3) (3) أي بأن يستسلم العبد لربه استسلاما شرعياً وذلك بتوحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب

([1] أخرجه البخاري، كتاب القدر، باب: إلقاء العبد النذر إلى القدر. ومسلم، كتاب النذر، باب : النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

([2] رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب: النذر فيما لا يملك وفي المعصية.

والانقياد له بالطاعة [1]، والبراءة من الشرك وأهله [2] ؛ وهو ثلاث مراتب [3]: الإسلام، والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أركان[4] فأركان الإسلام خمسة [5]: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول

عليه، أما الاستسلام القدري فلا ثواب فيه لأنه لا حيلة للإنسان فيه قال الله تعالى: ﴿ وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾ {سورة آل عمران، الآية: 83}.

(1) (1) وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لأن الطاعة طاعة في الأمر بفعله وطاعة في النهي بتركه.

(2) (2) البراءة من الشرك أي أن يتبرأ منه، ويتخلى منه وهذا يستلزم البراءة من أهله قال الله تعالى: ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ {سورة الممتحنة، الآية: 4} "

(3) (3) بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الدين الإسلامي ثلاث مراتب بعضها فوق بعض وهي الإسلام، والإيمان، والإحسان.

(4) (4) دليل ذلك قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في الحديث الـذي رواه أمـير المؤمـنين عمـر بن الخطـاب رضي الله عنه حين جاء جبريل يسأل النبي صلى اللـه عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسـان وبين لـه صلى الله عليه وسلم ذلك وقال: "هـذا جبريـل أتـاكم يعلمكم دينكم" [1]

(5) (5) دليل ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام

---

(1) تقدم تخريجه.

الله[1]، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج بيت الله .
فدليل الشهادة قوله تعالى: } شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم{ [2] {سورة آل عمران، الآية: 18}

الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام" . [1]
(1) [1] شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ركن واحد وإنما كانتا ركناً واحداً مع أنهما من شقين لأن العبادات تنبني على تحقيقهما معاً، فلا تقبل العبادة إلا بالإخلاص لله عز وجل وهو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا الله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما تتضمنه أن محمداً رسول الله.
(2) (2) في الآية الكريمة شهادة الله لنفسه بأنه لا إله إلا هو، وشهادة الملائكة وشهادة أهل العلم بذلك وأنه تعالى قائم بالقسط أي العدل ثم قرر ذلك بقوله: } لا إله إلا هو العزيز الحكيم{ وفي هذه الآية منقبة عظيمة لأهل العلم حيث أخبر أنهم شهداء معه ومع الملائكة والمراد بهم أولو العلم بشريعته ويدخل فيهم دخولاً أولياً رسله الكرام.
وهذه الشهادة أعظم شهادة لعظم الشاهد والمشهود به، فالشاهد هو الله وملائكته، وأولو العلم، والمشهود به توحيد الله في ألوهيته وتقرير ذلك في قوله: } لا إله إلا هو العزيز الحكيم{.

([1] رواه البخاري، كتاب الإيمان باب: قول النبي عليه الصلاة والسلام : "بني الإسلام على خمس . . . " ومسلم، كتاب الإيمان، باب : بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

ومعناها[1]: لا معبود بحق إلا الله ؛ "لا إله" نافياً جميع ما يعبد من دون الله " إلا الله" مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه . . . .

---

(1) (1) قوله : ومعناها أي معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله فشهادة أن لا إله إلا الله أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حق إلا الله عز وجل لأن "إله" بمعنى مألوه، والتأله التعبد، وجملة " لا إله إلا الله" مشتملة على نفي وإثبات، أما النفي فهو " لا إله" وأما الإثبات فهو "إلا الله" و"الله" لفظ الجلالة بدل من خبر " لا " المحذوف والتقدير "لا إله حق إلا الله" وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة "حق" يتبين الجواب عن الإشكال التالي: وهو كيف يقال : " لا إله إلا الله" مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله وقد سماها الله تعالى آلهة وسماها عابدوها آلهة قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ﴾ {سورة هود، الآية: 101} وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير الله عز وجل والرسل يقولون لأقوامهم ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ ؟ {سورة الأعراف، الآية: 59} والجواب على هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر في " لا إله إلا الله" فنقول: هذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ { سورة الحج، الآية: 62} ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى * إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان﴾

(

وتفسيرها الذي يوضحها، قوله تعالى: } وإذ قال إبراهيم لأبيه[1] وقومه إنني براء[2] مما تعبدون * إلا الذي فطرني[3] فإنه سيهدين[4] * وجعلها[5]
....

وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: } ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان{ {سورة يوسف الآية: 40} إذاً فمعنى " لا إله إلا الله " لا معبود حق إلا الله عز وجل، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقية أي ألوهية باطلة.

(1) (1) إبراهيم هو خليل الله إمام الحنفاء، وأفضل الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأبوه آزر .

(2) (2) (براء) صفة مشبهة من البراءة وهي أبلغ من بريء . وقوله: } إنني براء مما تعبدون{ يوافي قول : " لا إله " .

(3) (3) خلقني ابتداء على الفطرة وقوله: } إلا الذي فطرني { يوافي قول : "إلا الله" فهو سبحانه وتعالى لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه ودليل ذلك قوله تعالى: } ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين{ {سورة الأعراف، الآية: 54} ففي هذه الآية حصر الخلق والأمر لله رب العالمين وحده فله الخلق وله الأمر الكوني والشرعي.

(4) (4) } سيهدين { سيدلني على الحق ويوفقني له.

(5) (5) } وجعلها { أي هذه الكلمة وهي البراءة من كل معبود سوى الله.

كلمـة باقيـة في عقبـه [1]_ لعلهم يرجعـون [2]_ { {سـورة الزخرف، الآيات: 26-28}، ، وقوله: { قل [3] يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة[4] سواء بيننا وبينكم ألا نعبـد إلا اللـه ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون اللـه [5] فإن تولوا[6] فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون{[7] {سورة آل عمران، الآية: 64}.

---

(1) (1) } في عقبه { في ذريته.

(2) (2) } لعلهم يرجعون { أي إليها من الشرك.

(3) (3) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لمناظرة أهل الكتاب اليهود والنصارى.

(4) (4) } تعالوا إلى كلمـة سـواء بيننـا وبينكم{ هـذه الكلمة هي ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابـاً من دون اللـه فلا نعبـد إلا اللـه هي معـنى "لا إلـه إلا اللـه"، ومعـنى } سـواء بيننـا وبينكم { أننا نحن وإياكم سواء فيها.

(5) (5) أي لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله عز وجل بحيث يعظم كما يعظم الله عز وجل، ويعبد كما يعبد الله، ويجعل الحكم لغيره.

(6) (6) } فإن تولوا{ أعرضوا عما دعوتموهم إليه.

(7) (7) أي فأعلنوا لهم وأشهدوهم أنكم مسلمون لله، بريئون مما هم عليه من العناد والتولي عن هذه الكلمة العظيمة "لا إله إلا الله" .

*** ***

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى: } لقد جاءكم رسول من أنفسكم [1]عزيز عليه ما عنتم [2] حريص عليكم[3] بالمؤمنين رءوف رحيم{ [4] {سورة التوبة، الآية: 128} .

---

(1) (1) قوله : } من أنفسكم { أي من جنسكم بل هو من بينكم أيضاً كما قال تعالى: } هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين { {سورة الجمعة، الآية: 2} .

(2) (2) أي يشق عليه ما شق عليكم.

(3) (3) أي على منفعتكم ودفع الضر عنكم.

(4) (4) أي ذو رأفة ورحمة بالمؤمنين، وخص المؤمنين بذلك لأنه صلى الله عليه وسلم مأمور بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، وهذه الأوصاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على أنه رسول الله حقاً كما دل على ذلك قوله تعالى: } محمد رسول الله { {سورة الفتح، الآية: 29} وقوله تعالى: } قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً { {سورة الأعراف، الآية: 158} والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً تدل على أن محمداً رسول الله حقاً.

* * *

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع [1] .

---

(1) (1) معنى شهادة "أن محمداً رسول الله" هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله – عز وجل – إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ {سورة الذاريات، الآية: 56} ولا عبادة لله تعالى إلا عن طريق الوحي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم كما

قال تعالى: ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ {سورة الفرقان، الآية:1} .

ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً أن لا تعتقد أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حقاً في الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو صلى الله عليه وسلم عبد لا يعبد ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله كما قال الله تعالى: ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾{سورة الأنعام،الآية:50}. فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به، وقال الله تعالى: ﴿ قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً﴾ {سورة الجن، الآيتان: 21-22} وقال سبحانه: ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ {سورة الأعراف، الآية: 188} .

وبهذا تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من دونه من

ودليل الصلاة، والزكاة [1]، وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة[2]وذلك[3] دين القيمة ﴾[4] {سورة البينة، الآية: 5}

المخلوقين، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده. ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ {سورة الأنعام، الآيتان: 162-163}. وأن حقه صلى الله عليه وسلم، أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى إياها وهي أنه عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه.

(1) (1) أي الدليل على أن الصلاة والزكاة من الدين قوله تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾ {سورة البينة، الآية: 5}. وهذه الآية عامة شاملة لجميع أنواع العبادة فلا بد أن يكون الإنسان فيها مخلصاً لله عز وجل حنيفاً متبعاً لشريعته.

(2) (2) هذا من باب عطف الخاص على العام، لأن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من العبادة ولكنه سبحانه وتعالى نص عليهما لما لهما من الأهمية فالصلاة عبادة البدن، والزكاة عبادة المال وهما قرينتان في كتاب الله عز وجل.

(3) (3) أي عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

(4) (4) أي دين الملة القيمة التي لا اعوجاج فيها لأنها دين الله عز وجل ودين الله مستقيم كما قال الله تعالى: ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ {سورة الأنعام، الآية: 153}.

وهذه الآية الكريمة كما تضمنت ذكر العبادة والصلاة والزكاة فقد تضمنت حقيقة التوحيد وأنه الإخلاص لله عز وجل من غير ميل إلى الشرك، فمن

ودليل الصيام [1] قوله تعالى: } ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون{ [2] {سورة البقرة الآية: 183}، ودليل الحج [2] قوله تعالى: } ولله على الناس حج البيت

لم يخلص لله لم يكن موحداً، ومن جعل عبادته لغير الله لم يكن موحداً .

(1) (1) أي دليل وجوبه قوله تعالى: } ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم{ وفي قوله: } كما كتب على الذين من قبلكم { فوائد:

أولاً: أهمية الصيام حيث فرضه الله عز وجل على الأمم من قبلنا وهذا يدل على محبة الله عز وجل له وأنه لازم لكل أمة.

ثانياً: التخفيف على هذه الأمة حيث إنها لم تكلف وحدها بالصيام الذي قد يكون فيه مشقة على النفوس والأبدان.

ثالثاً: الإشارة إلى أن الله تعالى أكمل لهذه الأمة دينها حيث أكمل لها الفضائل التي سبقت لغيرها.

(2) (2) بين الله عز وجل في هذه الآية حكمة الصيام بقوله : } لعلكم تتقون{ أي تتقون الله بصيامكم وما يترتب عليه من خصال التقوى وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الفائدة بقوله: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[1] .

(3) (3) أي دليل وجوبه قوله تعالى: } ولله على الناس حج البيت { إلخ.

([1] أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب : من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } [1] {سورة آل عمران، الآية: 97} .

وهذه الآية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة وبها كانت فريضة الحج ولكن الله عز وجل قال. } من استطاع إليه سبيلاً { ففيه دليل على أن من لم يستطع فلا حج عليه.

(1) (1) في قوله تعالى } ومن كفر فإن الله غني عن العالمين { دليل على أن ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلاً يكون كفراً ولكنه كفر لا يخرج من الملة على قول جمهور العلماء لقول عبد الله بن شقيق: "كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة" [1] .

*** * ***

([1] أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب: ما جاء فيمن ترك الصلاة.

المرتبة الثانية[1]:الإيمان [2]،وهو بضع [3] وسبعون شعبة [4]، فأعلاها قول : لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى[5] عن الطريق، والحياء [6] شعبة من الإيمان، . . . .

---

(1) (1) أي من مراتب الدين .
(2) (2) الإيمان في اللغة التصديق.
وفي الشرع "اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وهو بضع وسبعون شبعة" .
(3) (3) البضع: بكسر الباء من الثلاثة إلى التسعة.
(4) (4) الشبعة: الجزء من الشيء.
(5) (5) أي إزالة الأذى وهو ما يؤذي المارة من أحجار وأشواك، ونفايات وقمامة وماله رائحة كريهة ونحو ذلك.
(6) (6) الحياء صفة انفعالية تحدث عند الخجل وتحجز المرء عن فعل ما يخالف المروءة.
والجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف رحمه الله تعالى من أن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأن الإيمان أركانه ستة أن نقول: الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حينما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[1] متفق عليه.

---

(1) تقدم تخريجه.

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله[1]
. . . . .

وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيماناً في قوله: ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ {سورة البقرة، الآية: 143} قال المفسرون : يعني صلاتكم إلى بيت المقدس لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى بيت المقدس.

(1) (1) الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع ، والحس.

1- 1- أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه"[1] . رواه البخاري.

2- 2- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

([1] أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه. ومسلم، كتاب القدر، باب : ما من مولود يولد إلا على الفطرة.

. . . .

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!
وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.
وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: } أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون { {سورة الطور، الآية: 35} يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع – جبير بن مطعم – رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: } أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون { {سورة الطور، الآيات: 35-37} وكان – جبير يومئذ مشركاً قال: "كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي" رواه – البخاري – مفرقاً [1] .
ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قصر مُشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الطورجـ4، ص 1839 .

. . . .

بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد ؟ !

3- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

1- 4- وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿ ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له ﴾ {سورة الأنبياء، الآية: 76} وقال تعالى: ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ {سورة الأنفال، الآية: 9} وفي صحيح البخاري عن – أنس بن مالك - رضي الله عنه: "أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب، فقال: (يا رسول الله)، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره

....
....

فقال: (يا رسول الله) تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا"، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت" [1] .
وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.
الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم .
مثال ذلك: آية موسى صلى الله عليه وسلم حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: } فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم { {سورة الشعراء، الآية: 63}.
ومثال ثان: آية عيسى صلى الله عليه وسلم حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى: } وأحيي الموتى بإذن الله { {سورة آل عمران، الآية: 49} وقال: } وإذ تخرج الموتى بإذني{ {سورة المائدة، الآية: 110}.
ومثال ثالث: لمحمد صلى الله عليه وسلم حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى : }اقتربت الساعة وانشق

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب: رفع اليدين في الدعاء. ومسلم، كتاب الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء.

....
....

القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
{ {سورة القمر، الآيتان: 1-2}. فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.
الثاني: الإيمان بربوبيته:
أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.
والرب: من له الخلق والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى: } ألا له الخلق والأمر{ {سورة الأعراف، الآية: 54} وقال: } ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير{ {سورة فاطر، الآية: 13} .
ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول، كما حصل من – فرعون – حين قال لقومه: } أنا ربكم الأعلى { {سورة النازعات، الآية: 24} وقال: } ياأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري{ {سورة القصص، الآية: 38} لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: } وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً { {سورة النمل، الآية: 14} وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: } لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً { { سورة الإسراء، الآية: 102}.
ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى ، مع إشراكهم به في الألوهية ، قال الله تعالى: } قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون

. . . .
. . . .

لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون{ {سورة المؤمنون، الآيات: 84-89}.

وقال الله تعالى: } ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم{ {سورة الزخرف، الآية: 9} وقال: } ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون{ {سورة الزخرف، الآية: 87}.

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته:

أي (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و"الإله" بمعنى المألوه" أي "المعبود حباً وتعظيماً، وقال الله تعالى: } وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم { {سورة البقرة، الآية: 163} وقال تعالى: } شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم { {سورة آل عمران، الآية: 18}. وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: } ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من

. . . .

دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير { {سورة الحج، الآية: 62} وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناة): } إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان { {سورة النجم، الآية: 23} وحكى عن هود أنه قال لقومه: } أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان {{سورة الأعراف، الآية: 71} وحكى عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: }أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان{ {سورة يوسف، الآيتين: 39-40} ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم:} اعبدوا الله ما لكم من إله غيره { ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السماوات ولا يشاركون فيه. قال الله تعالى: } واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً{ {سورة الفرقان، الآية: 3}.

وقال تعالى: } قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال

....
....

ذرة في السماوات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له{ {سورة سبأ، الآيتان: 22-23} .
وقال: } أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون * ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون { {سورة الأعراف، الآيتان: 191-192}.
وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.
الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحده بالربوبية كما قال تعالى: } ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون{ {سورة البقرة، الآيتان: 21-22} وقال : } ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون { {سورة الزخرف، الآية: 87} وقال: } قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون { {سورة يونس، الآيتان: 31-32}.
الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:
أي (إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء

. . . .

والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى: } ولله الأسماء الحسنى فادعوه به وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون { {سورة الأعراف، الآية: 180} وقال: } وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم{ {سورة الروم، الآية: 27} وقال: } ليس كمثله شيء وهو السميع البصير{ {سورة الشورى، الآية: 11} .

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان:

إحداهما: (المعطلة) الذين أنكروا الأسماء، والصفات، أو بعضها، زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه، أي تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله، وتكذيب بعضه بعضاً.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلاً منهما إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية، والسمع والبصر، والكلام، وترى الحيوانات لها أيد وأرجل، وأعين ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها، وأعينها متماثلة .

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات،

. . . .

فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.
الطائفة الثانية: (المشبهة) الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:
الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.
الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.
فإذا اثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.
وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليه غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

وملائكته [1]

. . . . .

والإيمان بالله تعالى على ما وصفْنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:
الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوف، ولا يعبد غيره.
الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.
الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.
(1) (1)   الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال الله تعالى: } ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون { {سورة الأنبياء، الآيتان: 19-20} . وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم رفع له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودا إليه آخر ما عليهم.[1]
والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:
الأول: الإيمان بوجودهم.

([1] أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة. ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات. ولفظه في مسلم: "... ثم رفع لي البيت المعمور فقلت : يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم" حديث (264) (164).

. . . .

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.
الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق. [1] وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل) حين أرسله تعالى إلى-مريم-فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، والإيمان والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". رواه مسلم. [2]
وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا في صورة رجال.
الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

([1] البخاري، كتاب بدء الخلق، 3232-3233 .
([2] تقدم تخريجه.

. . . .

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.
مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل.
ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.
ومثل: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.
ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.
ومثل: مالك الموكل بالنار وهو خازن النار.
ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.
ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص، ملكان: أحدهما عن اليمين، والثاني عن الشمال.
ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.
والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:
الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.
الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.
الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

. . . .

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً، وقالوا : إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: } الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع { {سورة الفاطر، الآية: 1} .

وقال: } ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون على وجوههم وأدبارهم { {سورة الأنفال، الآية: 50}.

وقال: } ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم { {سورة الأنعام، الآية: 93}.

وقال: } حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير{ {سورة سبأ، الآية: 23}.

وقال في أهل الجنة: } والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار{ {سورة الرعد، الآيتان: 23-24}.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض". [1]

([1] أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب : ذكر الملائكة . ومسلم، كتاب البر والصلة، باب: إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده.

وكتبه[1] ....

وفيه أيضاً عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المساجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر". [1]
وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.
(1) (1) الكتب: جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب).
والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.
والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:
الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.
الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، والتوراة التي أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم، والإنجيل الذي أنزل على عيسى صلى الله عليه وسلم، والزبور الذي أوتيه داود صلى الله عليه وسلم وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.
الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.
الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب: الاستماع إلى الخطبة . ومسلم، كتاب الجمعة، باب: فضل التهجير يوم الجمعة.

ورسله[1] . . . .

فهمنا حكمته أم لم نفهمها ، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى : }وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه{{ سورة المائدة، الآية:48} أي (حاكماً عليه) وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى: } لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً { {سورة المائدة، الآية: 48}.

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك.

(1) (1) الرسل: جمع (رسول) بمعنى (مرسل) أي (مبعوث) بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه.

وأول الرسل نوح وآخرهم محمد (صلى الله عليه وسلم) قال الله تعالى:} إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده{ {سورة النساء ، الآية:163}.

وفي صحيح البخاري عن-أنس بن مالك- رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم (ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذرإليهم ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله – وذكر تمام الحديث) [1]

([1] أخرجه البخـاري، كتـاب التوحيـد، بـاب : كلام الله مع الأنبيـاء يـوم القيامـة. ومسلم، كتاب=

. . . .

وقال الله تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم: } ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين { {سورة الأحزاب، الآية:40}.
ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها، قال الله تعالى: } ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت{ {سورة النحل، الآية: 36} وقال تعالى:} وإن من أمة إلا خلا فيها نذير{ {سورة فاطر، الآية: 24} وقال تعالى:}إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا{ {سورة المائدة، الآية: 44}.
والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الرسل المرسلين وأعظمهم جاهاً عند الله: } قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون{ {سورة الأعراف، الآية: 188}.
وقال تعالى: } قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً { {سورة الجن، الآيتان: 21-22} .
وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى: } والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين { {سورة الشعراء، الآيات79-81} .

. . . .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني" [1]
وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح صلى الله عليه وسلم: } إنه كان عبداً شكورا{ {سورة الإسراء، الآية:3} وقال في محمد صلى الله عليه وسلم } تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً{ {سورة الفرقان الآية: 1}.
وقال في إبراهيم، وإسحاق ويعقوب صلى الله عليهم وسلم: } واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار { {سورة ص، الآيات: 45-47}. وقال في عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم: } إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل{ {سورة الزخرف، الآية: 59} .
والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:
الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع . كما قال الله تعالى: } كذبت قوم نوح المرسلين{ {سورة الشعراء، الآية: 105} فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا

([1] أخرجه البخاري، كتاب القبلة، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان. ومسلم، كتاب المساجد، باب : السهو في الصلاة والسجود له.

....
....

محمداً صلى الله عليه وسلم ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن : في سورة الأحزاب في قوله: } وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم{ {سورة الأحزاب، الآية: 7}. وفي سورة الشورى في قوله : } * شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه{ { سورة الشورى، الآية: 13}.

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: } ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك{ {سورة غافر، الآية: 78}.

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: } فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً{ {سورة النساء، الآية: 65}.

. . . .

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:
الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.
الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.
الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.
وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله : } وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً * قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً{ {سورة الإسراء، الآيتان: 94-95} فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لا بد أن يكون الرسول بشراً لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من السماء ملكاً رسولا ً، ليكون مثلهم ، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: } إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد ءاباؤنا فأتونا بسلطان مبين * قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله{ {سورة إبراهيم، الآيتان: 10-11}.

واليوم الآخر،[1]

....

---

(1) (1) اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء . وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.
والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:
الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة غير منتعلين ، عراة غير مستترين ، غرلاً غير مختتنين، قال الله تعالى: } كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين{ {سورة الأنبياء، الآية: 104}.
والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين . قال الله تعالى: } ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون { {سورة المؤمنون، الآيتان: 15-16}.
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً "[1] متفق عليه .
وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى: } أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون { {سورة المؤمنون، الآية: 115} وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: } إن الذي فرض عليك القرءان لرادك إلى معاد { {سورة القصص، الآية: 85}.

([1] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق ، باب: كيف الحشر. ومسلم، كتاب الجنـة، بـاب: الدنيا وبيان المحشر يوم القيامة.

. . . .

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: } إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم { {سورة الغاشية، الآيتان: 25-26} وقال: } من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون { {سورة الأنعام، الآية: 160} وقال: } ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين { {سورة الأنبياء، الآية: 47}.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما-أن النبي صلى الله عليه وسلم –قال: "إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين". [1] متفق عليه.

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم:"أن من هم بحسنة فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأن من هم بسيئة فعملها كتبها الله سيئة واحدة"[2] .

([1] أخرجه البخـــاري، كتـــاب المظـــالم، بـــاب: قوله تعـــالى : "ألا لعنة الله على الظالمين" . ومسلم كتاب التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

([2] أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: من هم بحسـنة أو سـيئة، ومسـلم، كتـاب الإيمان، باب: الإسراء بالنبي عليه الصلاة والسلام إلى السماوات.

. . . .

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاؤوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونساءهم، وأموالهم. فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: } فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين * فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين{ {سورة الأعراف، الآيتان: 6-7} .

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله . فيها من أنواع النعيم " مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" . قال الله تعالى: } إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه { {سورة البينة، الآيتان: 7-8}. وقال تعالى: } فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون { {سورة السجدة، الآية: 17}.

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال مالا يخطر على

. . . .
. . . .

البال قال الله تعالى: } واتقوا النار التي أعدت للكافرين { {سورة آل عمران، الآية:131}، وقال: } إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً { {سورة الكهف، الآية: 29} وقال تعالى: } إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً * خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً * يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا{ {سورة الأحزاب، الآيات: 64-66}.

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

(1) (أ) فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم. ويضل الله الظالمين فيقول الكافر : هاه، هاه، لا أدري . ويقول المنافق أو المرتاب : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(2) (ب) عذاب القبر ونعيمه : فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين قال الله تعالى : } ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن ءاياته تستكبرون { {سورة الأنعام، الآية: 93}.

وقال تعالى في - آل فرعون - : } النار يعرضون عليها غدوّاً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب { {سورة غافر، الآية: 46} .

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم

. . . .

أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال. قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال " قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال" [1] .

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: } إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون{ {سورة فصلت، الآية: 41}.

وقال تعالى: } فلولا إذا بلغت الحلقوم * وأنتم حينئذ تنظرون * ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون * فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين * فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنت نعيم ...{ إلى آخر السورة {سورة الواقعة، الآيات: 83-89}.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: "ينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدّ بصره"[2] رواه أحمد وأبو داود في حديث طويل.

([1] رواه مسلم، كتـاب الجنة وصـفة نعيمها وأهلهـا، بـاب: عـرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

([2] أخرجه الإمام أحمد 4/287، وأبو داود، كتاب السنة، باب: المسألة في عـذاب القبر، والهيثمي في " مجمع الزوائد 3/49ـ 50، وأبو نعيم في " الحلية " 8/10 ، وابن أبي شـيبة في المصـنف 3/374 ، والآجـري في " الشـريعة " ص 327، وقال الهيثمي: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

. . . .

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:
الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.
الثانية: الرهبة في فعل المعصية والرضا بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.
الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.
وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن.
وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع، والحس، والعقل .
أما الشرع: فقد قال الله تعالى: } زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير { {سورة التغابن، الآية: 7} وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.
وأما الحس: فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك وهي:
المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له: } لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة { {سورة البقرة، الآية: 55} فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: } وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون { {سورة البقرة، الآيتان: 55، 56}.

. . . .

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: } وإذ قتلتم نفساً فادارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون { {سورة البقرة، الآيتان: 72-73}.
المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: } ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون { {سورة البقرة، الآية: 243}.
المثال الرابع: في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى، فأماته الله تعالى مئة سنة، ثم أحياه وفي ذلك يقول الله تعالى: } أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثتُ يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير{ {سورة البقرة، الآية: 259}.
المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه

. . . .

كيف يحيي الموتى ؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعياً، وفي ذلك يقول الله تعالى: } وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم{ {سورة البقرة، الآية: 260}.

فهذه أمثلة حسية واقعية تدل على إمكانية إحياء الموتى، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى ابن مريم من إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطر السماوات والأرض وما فيهما، خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: } وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه{ {سورة الروم، الآية: 27} وقال تعالى: } كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين{ {سورة الأنبياء، الآية: 104}. وقال آمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: } قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم{ {سورة يس، الآية: 79}.

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها

. . . .

بعد موتها، قادر على إحياء الأموات . قال الله تعالى: } ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير{ {سورة فصلت، الآية: 39} وقال تعالى: } ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج{ {سورة ق، الآيات: 9-11}.

وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا : فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق.

وهذا الزعم باطل بالشرع، والحس، والعقل:

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر. [1]

وفي صحيح البخاري – من حديث – ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما" [2] **وذكر الحديث، وفيه: "أن أحدهما كان لا يستتر من البول" وفي ـ رواية ـ " من (بوله) وأن الآخر كان يمشي بالنميمة".**

وأما الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم

([1] انظر : ص 103

([2] رواه البخاري، كتاب الوضوء باب : من الكبائر أن لا يستبرئ من بوله. ومسلم، كتاب الطهارة باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

. . . .
. . . .

فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه، والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى " وفاة " قال الله تعالى: ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ {سورة الزمر، الآية: 42}.

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي صلى الله عليه وسلم على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً، ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى ، فإذا كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكناً في أحوال الآخرة ؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت

. . . .

دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه. ولقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسموات السبع والأرض ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً . ومع ذلك هو محجوب عنا ، وفي ذلك يقول الله تعالى : }تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم { {سورة الإسراء، الآية: 44} وهكذا الشياطين، والجن، يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً، وقد حضرت الجن إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين. ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى: } يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون { {سورة الأعراف، الآية: 27} وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه.

وتؤمن بالقدر خيره وشره [1] والدليل على هذه الأركان الستة قوله

---

(1) (1) القدر بفتح الدال: "تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته" .
والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:
الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.
الثاني:الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: } ألم تعلم أن الله يعلمُ ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير {{سورة الحج، الآية: 70}.
وفي صحيح مسلم- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة". [1]
الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: } وربك يخلق ما يشاء ويختار{ {سورة القصص، الآية: 68}، وقال: } ويفعل الله ما يشاء { {سورة إبراهيم، الآية: 27} وقال: } هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء { {سورة آل عمران ، الآية:6} وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: } ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم { {سورة النساء، الآية: 90} وقال: } ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون{ {سورة الأنعام، الآية: 112}.

([1] رواه مسلم، كتاب القدر، باب: ذكر حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

....
....
تعالى: } ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: } الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل { {سورة الزمر، الآية: 62} وقال: } وخلق كل شيء فقدره تقديراً { {سورة الفرقان، الآية: 2}. وحكى عن نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: } والله خلقكم وما تعملون{ {سورة الصافات، الآية: 96}.
والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.
أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: } فمن شاء اتَّخذ إلى ربه مآباً { {سورة النبأ، الآية: 39} وقال: } فأتوا حرثكم أنَّى شئتم { {سورة البقرة، الآية: 223} وقال في القدرة: } فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا { {سورة التغابن، الآية: 16} وقال: } لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت { {سورة البقرة، الآية: 286}.
وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى: } لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين { {سورة التكوير، الآيتان: 28-29} ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.
والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من

آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين { {سورة البقرة، الآية: 177}.

الواجبات أو فعل من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه:
الأول: قوله تعالى: } سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرَّمنا من شيء كذلك كذَّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون{ {سورة الأنعام، الآية: 148} ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.
الثاني: قوله تعالى: } رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً { {سورة النساء، الآية: 165}ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.
الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال: لا ، اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ } فأما من أعطى واتقى {[1] الآية. وفي لفظ لمسلم: "فكل ميسر لما خلق له"[2] فأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.
الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: } فاتقوا الله ما استطعتم { {سورة التغابن، الآية: 16} وقال: } لا يكلف

([1]) رواه البخاري، كتاب التفسير.
([2]) رواه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي. . . .

ودليل القدر قوله تعالى: } إنا كل شيء خلقناه بقدر { {سورة القمر، الآية: 49}،

الله نفساً إلا وسعها { {سورة البقرة، الآية: 286} ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.
الخامس: أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يُعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.
السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟
وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلى بلد كلها فوضى، وقتل ونهب، وانتهاك للأعراض، وخوف، وجوع، والثاني ينتهي به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر؟!
مثال آخر: نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهى عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء

. . . .

والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر به الله ورسوله،أو يفعل ما نهى الله ورسوله عنه ثم يحتج بالقدر؟!

السابع: أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟ !

ويذكر أن ـ أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله. فقال عمر: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجري عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له

. . . .

ملك السموات والأرض، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: } ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور { {سورة الحديد، الآيتان: 22-23} ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" [1] رواه مسلم.
وقد ضل في القدر طائفتان:
إحداهما: الجبرية الذين قالوا : إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.
الثانية: القدرية الذين قالوا إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه أثر.
والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:
أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: } منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة { {سورة آل عمران، الآية: 152} وقال: } وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها { {سورة الكهف، الآية: 29} الآية. وقال: } من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام

---

[1] رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق باب: المؤمن أمره كله خير.

. . . .

للعبيد ﴾ {سورة فصلت، الآية: 46}.

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الإختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتلتوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ {سورة البقرة، الآية: 253} وقال تعالى: ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ {سورة السجدة، الآية: 13}.

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

المرتبة الثالثة : الإحسان ، ركن واحد وهو " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" والدليل قوله تعالى: } إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون { {سورة النحل، الآية: 128}، وقوله: } وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين * إنه هو السميع العليم { {سورة الشعراء، الآيات: 217-220} وقوله: } وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه { الآية{سورة يونس، الآية: 61}.

---

(1) (1) الإحسان ضد الإساءة وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكف الأذى فيبذل المعروف لعباد الله في ماله، وجاهه، وعلمه، وبدنه.

فأما المال فأن ينفق ويتصدق ويزكي وأفضل أنواع الإحسان بالمال الزكاة، لأن الزكاة أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام المرء إلا بها، وهي أحب النفقات إلى الله ـ عز وجل ـ ويلي ذلك، ما يجب على الإنسان من نفقة لزوجته، وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وبني إخوته، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وخالاته إلى آخر هذا، ثم الصدقة على المساكين وغيرهم، ممن هم أهل للصدقة كطلاب العلم مثلاً.

وأما بذل المعروف في الجاه فهو أن الناس مراتب، منهم من له جاه عند ذوي السلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إلى ذي سلطان يشفع له عنده، إما بدفع ضرر عنه، أو بجلب خير له.

وأما بعلمه فأن يبذل علمه لعباد الله، تعليماً في الحلقات والمجالس

. . . .

العامة والخاصة، حتى لو كنت في مجلس قهوة، فإن من الخير والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت في مجلس عام فمن الخير أن تعلم الناس، ولكن استعمل الحكمة في هذا الباب، فلا تثقل على الناس حيث كلما جلست في مجلس جعلت تعظهم وتتحدث إليهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتخولهم بالموعظة، ولا يكثر، لأن النفوس تسأم وتمل فإذا ملت كلت وضعفت، وربما تكره الخير لكثرة من يقوم ويتكلم.

وأما الإحسان إلى الناس بالبدن فقد قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: "وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة"[1]. فهذا رجل تعينه تحمل متاعه معه، أو تدله على طريق أو ما أشبه ذلك فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إلى عباد الله.

وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله: فأن تعبد الله كأنك تراه، كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم وهذه العبادة أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثاً عليها، لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه ـ سبحانه وتعالى ـ، " فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، وهذه عبادة الهرب والخوف، ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان، إذا لم تكن تعبد الله ـ عز وجل ـ كأنك تراه وتطلبه، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذي يراك، فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، وهذه

---

[1] رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب : فضل من حمل متاع صاحبه. ومسلم، كتـاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع في كل نوع من المعروف.

. . . .

الدرجة عند أرباب السلوك أدنى من الدرجة الأولى.
وعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ هي كما قال ابن القيم – رحمه الله -:

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما ركنان

فالعبادة مبنية على هذين الأمرين: غاية الحب، وغاية الذل، ففي الحب الطلب، وفي الذل الخوف والهرب، فهذا هو الإحسان في عبادة الله ـ عز وجل ـ. وإذا كان الإنسان يعبد الله على هذا الوجه، فإنه سوف يكون مخلصاً لله ـ عز وجل ـ لا يريد بعبادته رياء ولا سمعة، ولا مدحاً عند الناس، وسواء اطلع الناس عليه أم لم يطلعوا، الكل عنده سواء، وهو محسن العبادة على كل حال، بل إن من تمام الإخلاص أن يحرص الإنسان على ألا يراه الناس في عبادته، وأن تكون عبادته مع ربه سراً، إلا إذا كان في إعلان ذلك مصلحة للمسلمين أو للإسلام، مثل أن يكون رجلاً متبوعاً يقتدى به، وأحب أن يبين عبادته للناس ليأخذوا من ذلك نبراساً يسيرون عليه، أو كان هو يحب أن يظهر العبادة ليقتدى بها زملاؤه وقرناؤه وأصحابه ففي هذا خير، وهذه المصلحة التي يلتفت إليها قد تكون أفضل وأعلى من مصلحة الإخفاء، لهذا يثني الله ـ عز وجل ـ على الذين ينفقون أموالهم سرّاً وعلانية، فإذا كان السر أصلح وأنفع للقلب وأخشع وأشد إنابة إلى الله أسروا، وإذا كان في الإعلان مصلحة للإسلام بظهور شرائعه، وللمسلمين يقتدون بهذا الفاعل وهذا العامل أعلنوه.

والمؤمن ينظر ما هو الأصلح، كلٌّ ما كان أصلح، وأنفع في العبادة فهو أكمل وأفضل.

والدليل من السنة: حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان" قال: فمضى فلبثنا ملياً فقال: "يا عمر أتدري من السائل"؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم".[1]

---

(1) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام، وغالب هذا الحديث تقدم شرحه ولنا شرح عليه في مجموع الفتاوى والرسائل 3/143.

الأصل الثالث[1]: معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وهو: محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا

---

(1) (1) أي من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها وهي معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه.
وقد سبق الكلام على معرفة العبد ربه ودينه.
وأما معرفة النبي (صلى الله عليه وسلم) فتتضمن خمسة أمور:
الأول: معرفته نسباً فهو أشرف الناس نسباً فهو هاشمي قرشي عربي فهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم إلى آخر ما قاله الشيخ رحمه الله.
الثاني: معرفة سنه، ومكان ولادته، ومهاجره وقد بينها الشيخ بقوله: "وله من العمر ثلاث وستون سنة، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة" فقد ولد بمكة وبقي فيها ثلاثاً وخمسين سنة، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشرة بعد الهجرة.
الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحي إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه:
وأتت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان
الرابع: بماذا كان نبياً ورسولاً ؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ {سورة العلق، الآيات: 1-5}، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿ ياأيها المدثر * قم فأنذر * وربك

أفضل الصلاة والسلام . وله من العمر: ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً، نبىء باقرأ . وأرسل بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة.
بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد [1] .
والدليل قوله تعالى: } ياأيها المدثر[2] * قم فأنذر[3] * وربك فكبر * وثيابك فطهر*

فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر { {سورة المدثر، الآيات: 1-7}، فقام صلى الله عليه وسلم فأنذر وقام بأمر الله عز وجل.
والفرق بين الرسول والنبي كما يقول أهل العلم: أن النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أوحى الله إليه بشرع وأمر بتبليغه والعمل به فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.
الخامس: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.
(1) (1) أي ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.
(2) (2) النداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
(3) (3) يأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم بجد ونشاط وينذر الناس عن الشرك ويحذرهم منه وقد فسر الشيخ هذه الآيات.

والرجز فاهجر*ولا تمنن تستكثر*ولربك فاصبر {{سورة المدثر، الآيات: 1-7} ومعنى } قم فأنذر{ : ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد.} وربك فكبر { أي :عظمه بالتوحيد ،} وثيابك فطهر { أي: طهر أعمالك عن الشرك. } والرجز فاهجر { الرجز: الأصنام وهجرها ـ تركها، والبراءة منها وأهلها.
أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد[1] وبعد العشر عرج به إلى السماء[2]، . . . . . .

---

(1) (1) أي إن النبي، صلى الله عليه وسلم، بقي عشر سنين يدعو إلى توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة سبحانه وتعالى ,.
(2) (2) العروج الصعود ومنه قوله تعالى: } تعرج الملائكة والروح إليه { {سورة المعارج، الآية: 4} وهو من خصائص النبي، صلى الله عليه وسلم، العظيمة التي فضله الله بها قبل أن يهاجر من مكة، فبينما هو نائم في الحجر في الكعبة أتاه آت فشق ما بين ثغرة نحره إلى أسفل بطنه ثم استخرج قلبه فملأه حكمة وإيماناً تهيئة لما سيقوم به ثم أتي بدابة بيضاء دون البغل وفوق الحمار يقال لها : البراق يضع خطوه عند منتهى طرفه فركبه صلى الله عليه وسلم وبصحبته جبريل الأمين حتى وصل بيت المقدس فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماماً، بكل الأنبياء والمرسلين يصلون خلفه ليتبين بذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفه وأنه الإمام المتبوع، ثم عرج به جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل : من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟

. . . .

قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح له فوجد فيها آدم فقال جبريل: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام، وقال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح، وإذا على يمين آدم أرواح السعداء وعلى يساره أرواح الأشقياء من ذريته فإذا نظر إلى اليمين سر وضحك وإذا نظر قبل شماله بكى، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح . .
إلخ . فوجد فيها يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وهما ابنا الخالة كل واحد منهما ابن خالة الآخر فقال جبريل: هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما، فسلم عليهما فردا السلام وقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم عرج به جبريل إلى السماء الثالثة فاستفتح . . . إلخ. فوجد فيها يوسف عليه الصلاة والسلام فقال جبريل : هذا يوسف فسلم عليه فسلم عليه، فرد السلام، وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم عرج به جبريل إلى السماء الرابعة فاستفتح . . إلخ فوجد فيها إدريس صلى الله عليه وسلم فقال جبريل : هذا إدريس فسلم عليه فسلم عليه فرد السلام، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم عرج به جبريل إلى السماء الخامسة فاستفتح . . . .إلخ . فوجد فيها هارون بن عمران أخا موسى صلى الله عليه وسلم فقال جبريل : هذا هارون فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال : مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح ثم عرج به جبريل إلى السماء السادسة فاستفتح . . . . إلخ. فوجد فيها موسى صلى الله عليه وسلم فقال جبريل : هذا موسى فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزه بكى موسى فقيل له : ما يبكيك قال: "أبكي لأن غلاماً

. . . .
. . . .

بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي" فكان بكاء موسى حزناً على ما فات أمته من الفضائل لا حسداً لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم عرج به جبريل إلى السماء السابعة فاستفتح ... إلخ. فوجد فيها إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم فقال جبريل: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، فسلم عليه فرد عليه السلام وقال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. وإنما طاف جبريل برسول الله صلى الله عليه وسلم، على هؤلاء الأنبياء تكريماً له وإظهاراً لشرفه وفضله صلى الله عليه وسلم وكان إبراهيم الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور في السماء السابعة الذي يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون ويصلون ثم يخرجون ولا يعودون، في اليوم الثاني يأتي غيرهم من الملائكة الذين لا يحصيهم إلا الله، ثم رفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى فغشيها من أمر الله من البهاء والحسن ما غشيها حتى لا يستطيع أحد أن يصفها من حسنها، ثم فرض الله عليه الصلاة خمسين صلاة كل يوم وليلة فرضي بذلك وسلم ثم نزل فلما مر بموسى قال: ما فرض ربك على أمتك ؟ قال: خمسين صلاة في كل يوم . فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك وقد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال النبي، صلى الله عليه وسلم، : فرجعت فوضع عني عشراً وما زال يراجع ربه حتى استقرت الفريضة على خمس، فنادى مناد أمضيت فريضتي وخففت على عبادي. وفي هذه الليلة أدخل النبي، صلى الله عليه وسلم، الجنة فإذا فيها قباب اللؤلؤ وإذا ترابها المسك ثم نزل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى أتى مكة بغلس وصلى فيها الصبح[1] .

([1] أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة . ومسلم، كتـاب الإيمـان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات.

وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين [1]، وبعدها أمر بالهجرة [2]

. . . . .

---

(1) (1) وكان يصلي الرباعية ركعتين حتى هاجر إلى المدينة فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر.

(2) (2) أمر الله عز وجل نبيه محمداً ، صلى الله عليه وسلم، بالهجرة إلى المدينة لأن أهل مكة منعوه أن يقيم دعوته، وفي شهر ربيع الأول من العام الثالث عشر من البعثة وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجراً من مكة البلد الأول للوحي وأحب البلاد إلى الله ورسوله، خرج من مكة مهاجراً بإذن ربه بعد أن قام بمكة ثلاث عشرة سنة يبلغ رسالة ربه ويدعو إليه على بصيرة فلم يجد من أكثر قريش وأكابرهم سوى الرفض لدعوته والإعراض عنها، والإيذاء الشديد للرسول صلى الله عليه وسلم، ومن آمن به حتى آل الأمر بهم إلى تنفيذ خطة المكر والخداع لقتل النبي صلى الله عليه وسلم حيث اجتمع كبراؤهم في دار الندوة وتشاوروا ماذا يفعلون برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوا أصحابه يهاجرون إلى المدينة وأنه لا بد أن يلحق بهم ويجد النصرة والعون من الأنصار الذين بايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم وحينئذ تكون له الدولة على قريش، فقال عدو الله أبو جهل: الرأي أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلداً ثم نعطي كل واحد سيفاً صارماً ثم يعمدوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ونستريح منه فيتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف- يعني عشيرة النبي، صلى الله عليه وسلم،ـ أن يحاربوا قومهم جميعاً فيرضون بالدية فنعطيهم إياها.

. . . .
. . . .

فأعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بما أراد
المشركون وأذن له بالهجرة وكان أبو بكر رضي الله عنه
قد تجهز من قبل للهجرة إلى المدينة فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم : على رسلك فإني أرجو أن يؤذن
لي، فتأخر أبو بكر رضي الله عنه ليصحب النبي صلى
الله عليه وسلم، قالت عائشة رضي الله عنها : فبينما
نحن في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة في منتصف
النهار إذا برسول الله صلى الله عليه وسلم على الباب
متقنعاً فقال أبو بكر : فداء له أبي وأمي والله ما جاء به
في هذه الساعة إلا أمر فدخل النبي، صلى الله عليه
وسلم، وقال لأبي بكر: أخرج من عندك. فقال: إنما هم
أهلك بأبي أنت وأمي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم
: قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر :الصحبة يا
رسول الله. قال: نعم. فقال: يا رسول الله فخذ إحدى
راحلتي هاتين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
بالثمن، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو
بكر فأقاما في غار جبل ثور ثلاث ليال يبيت عندهما عبد
الله بن أبي بكر وكان غلاماً شاباً ذكياً واعياً فينطلق في
آخر الليل إلى مكة فيصبح من قريش فلا يسمع بخبر
حول النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه إلا وعاه حتى
يأتي به إليهما حين يختلط الظلام، فجعلت قريش تطلب
النبي صلى الله عليه وسلم من كل وجه وتسعى بكل
وسيلة ليدركوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى جعلوا
لمن يأتي بهما أو بأحدهما ديته مئة من الإبل، ولكن الله
كان معهما يحفظهما بعنايته ويرعاهما برعايته حتى إن
قريشاً ليقفون على باب الغار فلا يرونهما. قال أبو بكر
رضي الله عنه: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن
في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه
لأبصرنا.فقال:"لا تحزن إن الله معنا، ما ظنك يا أبا بكر

باثنين الله ثالثهما". [1] حتى إذا سكن الطلب عنهما قليلاً خرجا من

---

(1) أخرجه البخـاري، كتـاب فضـائل الصـحابة، بـاب منـاقب المهـاجرين وفضـلهم، ومسلم، =

والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام [1]. . . . .

الغار بعد ثلاث ليال متجهين إلى المدينة على طريق الساحل.
ولما سمع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم كانوا يخرجون صباح كل يوم إلى الحرة ينتظرون قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحبه حتى يطردهم حر الشمس، فلما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعالى النهار واشتد الحر رجعوا إلى بيوتهم إذا رجل من اليهود على أطم من آطام المدينة ينظر لحاجة له فأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مقبلين يزول بهم السراب فلم يملك أن نادى بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم يعني هذا حظكم وعزكم الذي تنتظرون فهب المسلمون للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم السلاح تعظيماً وإجلالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإيذاناً باستعدادهم للجهاد والدفاع دونه رضي الله عنهم فتلقوه صلى الله عليه وسلم بظاهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين ونزل في بني عمرو بن عوف في قباء، وأقام فيهم بضع ليال وأسس المسجد، ثم ارتحل إلى المدينة والناس معه وآخرون يتلقونه في الطرقات قال أبو بكر رضي الله عنه :خرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد.
(1) (1) الهجرة في اللغة: "مأخوذة من الهجر وهو الترك".
وأما في الشرع فهي كما قال الشيخ: "الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام". وبلد الشرك هو الذي تقام فيه شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالأذان والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه

والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام [1]، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة . والدليل قوله تعالى: } إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً { [2] {سورة النساء، الآيات: 97-99}.

عام شامل، وإنما قلنا : على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام، أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل.

(1) (1) فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

(2) (2) في هذه الآية دليل على أن هؤلاء الذين لم يهاجروا مع قدرتهم على الهجرة أن الملائكة تتوفاهم وتوبخهم وتقول لهم: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، أما العاجزون عن الهجرة من المستضعفين فقد عفا الله عنهم لعجزهم عن الهجرة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وقوله تعالى: } يا عبادي الذين ءامنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون {{سورة العنكبوت، الآية:56} قال البغوي – رحمه الله تعالى -: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ؛ ناداهم الله باسم الإيمان [(1)]. والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم[*]: " لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها"[(2)].

---

(1) (1) الظاهر أن الشيخ رحمه الله نقل هذا عن البغوي بمعناه، هذا إن كان نقله من التفسير إذ ليس المذكور في تفسير البغوي لهذه الآية بهذا اللفظ.

(2) (2) وذلك حين انتهاء العمل الصالح المقبول قال الله تعالى: } يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً {{سورة الأنعام، الآية:158} والمراد ببعض الآيات هنا طلوع الشمس من مغربها.

(تتمة) نذكر هنا حكم السفر إلى بلاد الكفر.

فنقول: السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

---

[*] أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: في الهجرة هل انقطعت. وأحمد جـ1 ص 192. والدارمي، كتاب السير، باب : أن الهجرة لا تنقطع، والهيثمي في "مجمع الزوائد" جـ 5 ص 250، وقال: "روى أبو داود والنسائي بعض حديث معاوية، ورواه أحمد والطبراني في الأوسط والصغير من غير حديث ابن السعدي – ورجال أحمد ثقات –".

....
....

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك.
فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار.
أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.
وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلاداً سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.
وأما الإقامة في بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين المسلم، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقاً، وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان ـ والعياذ بالله ـ حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوي في تلك المهالك.
فالإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسين:
الشرط الأول: أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان،

. . . .

وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتهم، ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم، مما ينافي الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءَهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ {سورة المجادلة، الآية: 22} الآية . وقال تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾ {سورة المائدة، الآيتان: 51-52} وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن من أحب قوماً فهو منهم، وأن المرء مع من أحب" [1] ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم،أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحب قوماً فهو منهم"[1].

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة

---

[1] رواه البخاري، كتاب الأدب، باب : علامة حب الله عز وجل ، ومسلم، كتاب الصلة، باب : المرء مع من أحب.

. . . .

لوجوب الهجرة حينئذ، قال في المغني ص 457 جـ 8 في الكلام على أقسام الناس في الهجرة: أحدها من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ {سورة النساء ، الآية: 97}. وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. أهـ.

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال، صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية" [1] .

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية

---

[1] رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل.

....
....

السلوك ؛ ليحذر الناس من الاغترار بهم، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضاً لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله ـ تعالى ـ: { ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون } {سورة الأنعام، الآية: 108}.

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبرونه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي، صلى الله عليه وسلم، حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم. [1]

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دولة الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالملحق الثقافي مثلاً يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب.

. . . .

بلاد الكفار للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.
القسم الخامس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكاً بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال. والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:
الشرط الأول: أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث "الصغار السن" وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيراً من أولئكم المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في دياناتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

. . . .

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقاً أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل. وفي الدعاء المأثور "اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علي فأضل".

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلاً ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله

....

بين أهل الكفر فيأخـذون من أخلاقهم وعـاداتهم، وربمـا قلدوهم في العقيدة والتعبد ولذلك جاء في الحـديث عن النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم،: "من جـامع المشـرك وسكن معه فهو مثله"[1]. وهذا الحديث وإن كـان ضـعيف السند لكن له وجهة من النظر فإن المسـاكنة تـدعو إلى المشـاكلة، وعن قيس بن أبي حـازم عن جريـر بن عبـد الله ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: "أنـا بـريء من كـل مسـلم يقيم بين أظهـر المشركين، قالوا : يـا رسـول اللـه ولم؟ قـال: لا تـراءى نارهما"[2]. رواه أبو داود والترمذي : وأكـثر الـرواة رووه مرسلاً عن قيس بن أبي حازم عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال الترمـذي سـمعت محمـداً ــ يعـني البخـاري ـ يقول: الصحيح حـديث قيس عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم،مرسل . أ هـ. وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسـمعه بأذنيـه ويرضى به، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليـه وعلى أهلـه وأولاده في دينهم وأخلاقهم.

هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقاً للحق والصواب.

*** * ***

---

[1] رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: الإقامة بأرض المشركين.

[2] أخرجه أبو داود، كتـاب الجهـاد، بـاب: النهي عن قتل من اعتصم بالسـجود. والترمذي كتاب السير، باب: ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين.

فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل: الزكاة، والصلاة، والحج، والجهاد والأذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام [1]

---

(1) يقول المؤلف رحمه الله تعالى: لما استقر ـ أي النبي، صلى الله عليه وسلم، ـ في المدينة النبوية أمر ببقية شرائع الإسلام وذلك أنه في مكة دعا إلى التوحيد نحو عشر سنين، ثم بعد ذلك فرضت عليه الصلوات الخمس في مكة، ثم هاجر إلى المدينة ولم تفرض عليه الزكاة ولا الصيام ولا الحج ولا غيرها من شعائر الإسلام. وظاهر كلام المؤلف رحمه الله أن الزكاة فرضت أصلاً وتفصيلاً في المدينة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فرضت أولاً في مكة لكنها لم تقدر أنصبتها ولم يقدر الواجب فيها وفي المدينة قدرت الأنصباء وقدر الواجب واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة في سور مكية مثل قوله تعالى في سورة الأنعام: } وآتوا حقه يوم حصاده { {سورة الأنعام، الآية: 141} ومثل قوله تعالى: } والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم { {سورة المعارج، الآيتان: 24-25} وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير أنصبتها وما يجب فيها وبيان مستحقيها كان في المدينة، وكذلك الأذان والجمعة، والظاهر أن الجماعة كذلك لم تفرض إلا في المدينة؛ لأن الأذان الذي فيه الدعوة للجماعة فرض في السنة الثانية، فأما الزكاة والصيام فقد فرضا في السنة الثانية من الهجرة، وأما الحج فلم يفرض إلا في السنة التاسعة على القول الراجح من أقوال أهل العلم وذلك حين كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها في السنة الثامنة من الهجرة، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن

أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه[1]

المنكر وغيرهما من الشعائر الظاهرة كلها فرضت في المدينة بعد استقرار النبي، صلى الله عليه وسلم، فيها وإقامة الدولة الإسلامية فيها.

(1) (1) أخذ أي النبي، صلى الله عليه وسلم، عشر سنين بعد هجرته فلما أكمل الله به الدين وأتم به النعمة على المؤمنين اختاره الله لجواره واللحاق بالرفيق الأعلى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فابتدأ به المرض صلوات الله وسلامه عليه في آخر شهر صفر وأول شهر ربيع الأول، فخرج إلى الناس عاصباً رأسه فصعد المنبر فتشهد وكان أول ما تكلم به بعد ذلك أن استغفر للشهداء الذين قتلوا في أحد ثم قال: "إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله "ففهمها أبو بكر رضي الله عنه فبكى وقال: بأبي وأمي نفديك بآبائنا وأمهاتنا، وأبنائنا، وأنفسنا، وأموالنا فقال النبي، صلى الله عليه وسلم،: "على رسلك يا أبا بكر" ثم قال: "إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ولكن خلة الإسلام ومودته"[1] وأمر أبا بكر أن يصلي بالناس ولما كان يوم الاثنين الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة من الهجرة اختاره الله لجواره فلما نزل به جعل يدخل يده في ماء عنده ويمسح وجهه ويقول: "لا إله إلا الله إن للموت سكرات" ثم شخص بصره نحو السماء وقال: "اللهم في الرفيق الأعلى"[2]. فتوفي ذلك اليوم فاضطرب الناس لذلك وحق لهم أن يضطربوا، حتى جاء أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبر فحمد الله

([1] أخرجه البخاري، كتاب المساجد، باب: الخوخة والممر في المسجد.

([2] أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب: مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

ودينه باق، وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دل عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه. بعثه الله إلى الناس كافة [1]، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس، والدليل قوله تعالى: } قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً{ [2] {سورة الأعراف، الآية: 158}.

وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم قرأ: } وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم{ {سورة آل عمران، الآية: 144}، } إنك ميت وإنهم ميتون { {سورة الزمر، الآية: 30} فاشتد بكاء الناس وعرفوا أنه قد مات فغسل صلوات الله وسلامه عليه في ثيابه تكريماً له، ثم كفن بثلاثة أثواب أي لفائف بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة، وصلى الناس عليه أرسالاً بدون إمام، ثم دفن ليلة الأربعاء بعد أن تمت مبايعة الخليفة من بعده فعليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسلم.

(1) (1) بعثه الله أي أرسله، إلى الناس كافة أي جميعاً.

(2) (2) في هذه الآية دليل على أن محمداً رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى الناس جميعاً وأن الذي أرسله له ملك السماوات والأرض، ومن بيده الإحياء والإماتة، وأنه سبحانه هو المتوحد بالألوهية كما هو متوحد في الربوبية، ثم أمر سبحانه وتعالى في آخر الآية أن نؤمن بهذا الرسول النبي الأمي وأن نتبعه وأن ذلك سبب للهداية العلمية والعملية، هداية الإرشاد، وهداية

وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: } اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً { [1]{سورة المائدة، الآية: 3}.

التوفيق فهو عليه الصلاة والسلام رسول إلى جميع الثقلين وهم الإنس والجن وسموا بذلك لكثرة عددهم.

(1) (1) أي إن دينه عليه الصلاة والسلام باق إلى يوم القيامة فما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا وقد بين للأمة جميع ما تحتاجه في جميع شؤونها حتى قال أبو ذر رضي الله عنه: "ما ترك النبي صلى، الله عليه وسلم، طائراً يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً" [1] وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه : علمكم نبيكم حتى الخراءة ـ آداب قضاء الحاجة ـ قال: "نعم لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول أو نستنجى بأقل من ثلاثة أحجار،أو أن نستنجي باليمين،أو أن نستنجي برجيع أو عظم"[2] فالنبي، صلى الله عليه وسلم، بين كل الدين إما بقوله، وإما بفعله، وإما بإقراره ابتداء أو جواباً عن سؤال، وأعظم ما بين عليه الصلاة والسلام التوحيد.

وكل ما أمر به فهو خير للأمة في معادها ومعاشها، وكل ما نهى عنه فهو شر للأمة في معاشها ومعادها، وما يجهله بعض الناس ويدعيه من ضيق في الأمر والنهي فإنما ذلك لخلل البصيرة وقلة الصبر وضعف الدين، وإلا فإن القاعدة العامة أن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج وأن الدين كله يسر وسهولة قال الله تعالى: } يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر{ {سورة البقرة، الآية: 185}، وقال تعالى: } وما جعل عليكم في الدين من

([1] أخرجه الإمام أحمد 5/163.

([2] أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب: الاستطابة.

والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: } إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون{ [(1)] {سورة الزمر، الآيتان: 30-31}. والناس إذا ماتوا يبعثون [(2)]، والدليل قوله تعالى: } منها خلقناكم [(3)] وفيها نعيدكم [(4)] ومنها نخرجكم تارة أخرى{ [(5)] {سورة طه، الآية: 55}، وقوله

حرج{ {سورة الحج، الآية: 78} وقال تعالى:} ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج {{سورة المائدة، الآية:6} فالحمد لله على تمام نعمته وإكمال دينه.

(1) (1) ففي هذه الآية أن النبي، صلى الله عليه وسلم، ومن أرسل إليهم ميتون وأنهم سيختصمون عند الله يوم القيامة فيحكم بينهم بالحق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

(2) (2) بين رحمه الله تعالى في هذه الجملة أن الناس إذا ماتوا يبعثون، يبعثهم الله عز وجل أحياء بعد موتهم للجزاء، وهذا هو النتيجة من إرسال الرسل أن يعمل الإنسان لهذا اليوم يوم البعث والنشور، اليوم الذي ذكر الله سبحانه وتعالى من أحواله وأهواله ما يجعل القلب ينيب إلى الله عز وجل ويخشى هذا اليوم قال الله تعالى: } فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً *السماء منفطر به كان وعده مفعولاً { {سورة المزمل، الآيتان: 17-18}.

وفي هذه الجملة إشارة إلى الإيمان بالبعث واستدل الشيخ له بآيتين.

(3) (3) أي من الأرض خلقناكم حين خلق آدم عليه الصلاة والسلام من تراب.

(4) (4) أي بالدفن بعد الموت.

(5) (5) أي بالبعث يوم القيامة.

تعالى : ﴿ والله أنبتكم من الأرض نباتاً*ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً ﴾ [1] {سورة نوح ، الآيتين:17-18}. وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى: ﴿ ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ [2] {سورة النجم، الآية: 31}؛ . . . .

---

(1) (1) هذه الآية موافقة تماماً لقوله تعالى: ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً وقد أبدى الله عز وجل وأعاد في إثبات المعاد حتى يؤمن الناس بذلك ويزدادوا إيماناً ويعملوا لهذا اليوم العظيم الذي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من العاملين له ومن السعداء فيه.

(2) (2) يعني أن الناس بعد البعث يجازون ويحاسبون على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ {سورة الزلزلة، الآيتان: 7-8}، وقال تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ {سورة الأنبياء، الآية: 47}، وقال جلَّ وعلا: ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ {سورة الأنعام، الآية: 160}. فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة فضلاً من الله عز وجل وامتناناً منه سبحانه وتعالى، فهو جل وعلا قد تفضل بالعمل الصالح، ثم تفضل مرة أخرى بالجزاء عليه هذا الجزاء الواسع الكثير، أما

ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى: } زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير{ [1] {سورة التغابن، الآية: 7}، . . . . . .

العمل السيئ فإن السيئة بمثلها لا يجازى الإنسان بأكثر منها قال تعالى: } ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون { {سورة الأنعام، الآية: 160} وهذا من كمال فضل الله وإحسانه.
ثم استدل الشيخ لذلك بقوله تعالى: } ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا { ولم يقل : بالسوءي كما قال: } ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى { .
(1) (1) من كذب بالبعث فهو كافر لقوله تعالى: } وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين * ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون{ {سورة الأنعام، الآيتان: 29-30}، وقال تعالى: } ويل يومئذ للمكذبين * الذين يكذبون بيوم الدين * وما يكذب به إلا كل معتد أثيم * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين * كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون{ {سورة المطففين، الآيات: 10-17}، وقال تعالى: } بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً { {سورة الفرقان، الآية: 11}، وقال تعالى: } والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم{ {سورة العنكبوت، الآية: 23} واستدل الشيخ رحمه الله تعالى بقوله تعالى: } زعم الذين كفروا{ الآية.
وأما إقناع هؤلاء المنكرين فبما يأتي:

. . . .

أولاً: أن أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية، والشرائع السماوية، وتلقته أممهم بالقبول، فيكف تنكرونه وأنتم تصدقون بما ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة، وإن لم يبلغ ما بلغه الخبر عن البعث لا في وسيلة النقل، ولا في شهادة الواقع؟

ثانياً: أن أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه، وذلك من وجوه:

1- 1- كل أحد لا ينكر أن يكون مخلوقاً بعد العدم، وأنه حادث بعد أن لم يكن، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن قادر على إعادته بالأولى، كما قال الله تعالى: } وهو الذ يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه{ {سورة الروم، الآية: 27}، وقال تعالى: } كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين { {سورة الأنبياء ، الآية: 104}.

2- 2- كل أحد لا ينكر عظمة خلق السموات والأرض لكبرهما وبديع صنعتهما، فالذي خلقهما قادر على خلق الناس وإعادتهم بالأولى ؛ قال الله تعالى: } لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس{ {سورة غافر، الآية: 57}، وقال تعالى: } أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير{ {سورة الأحقاف، الآية: 33}، وقال تعالى: } أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون{ {سورة يس، الآيتان: 81-82}.

3- 3- كل ذي بصر يشاهد الأرض مجدبة ميتة النبات، فإذا نزل المطر

. . . .

عليها أخصبت وحيي نباتها بعد الموت، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم، قال الله تعالى: } ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير{ {سورة فصلت، الآية: 39}.

ثالثاً: أن أمر البعث قد شهد الحس والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع إحياء الموتى، وقد ذكر الله تعالى من ذلك في سورة البقرة خمس حوادث منها، قوله: } أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير{ {سورة البقرة، الآية: 259}.

رابعاً: أن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازى كل نفس بما كسبت، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثاً لا قيمة له، ولا حكمة منه، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة. قال الله تعالى: } أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم{ {سورة المؤمنون، الآيتان: 115-116}، وقال الله تعالى: } إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى{ {سورة طه، الآية: 15}، وقال تعالى: } وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعالى: } رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل{ (1) {سورة النساء، الآية: 165}، . . . .

بلى وعداً عليه حقّاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين * إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون { {سورة النحل، الآيات: 38-40}. وقال تعالى: }زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير{ {سورة التغابن، الآية: 7}.

فإذا بينت هذه البراهين لمنكري البعث وأصروا على إنكارهم، فهم مكابرون معاندون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

(1) (1) بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الله أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى: } رسلاً مبشرين ومنذرين{ يبشرون من أطاعهم بالجنة وينذرون من خالفهم بالنار.

وإرسال الرسل له حكم عظيمة من أهمها بل هو أهمها أن تقوم الحجة على الناس حتى لا يكون لهم على الله حجة بعد إرسال الرسل كما قال تعالى: } لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل{.

ومنها أنه من تمام نعمة الله على عباده فإن العقل البشري مهما كان لا يمكنه أن يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من الحقوق الخاصة به، ولا يمكنه أن يطلع على ما لله تعالى من الصفات الكاملة، ولا يمكنه أن يطلع على ماله من الأسماء الحسنى ولهذا أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام

وأولهم نوح عليه السلام ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى : } إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده { [1] {سورة النساء، الآية: 163}.

مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.
وأعظم ما دعا إليه الرسل من أولهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد، صلى الله عليه وسلم، التوحيد كما قال الله تعالى: } ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت{ {سورة النحل، الآية: 36}. وقال عز وجل: } وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون{ {سورة الأنبياء، الآية: 25}.
(1) [1] بين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ أن أول الرسل نوح عليه الصلاة والسلام واستدل لذلك بقوله تعالى : } إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده{ {سورة النساء، الآية: 163} وثبت في الصحيح من حديث الشفاعة: " إن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض"[1] فلا رسول قبل نوح وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا : إن إدريس عليه الصلاة والسلام قبل نوح بل الذي يظهر أن إدريس من أنبياء بني إسرائيل.
وآخر الأنبياء وخاتمهم محمد، صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى : } ما كان محمد أبا أحد من

([1] رواه البخاري كتاب التوحيد، باب : كلام الله مع الأنبياء يـوم القيامـة، ومسـلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة .

وكل أمة بعث الله إليها رسولاً [1] من نوح إلى محمد ؛ يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: } ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت{ [2]{سورة النحل، الآية: 36}.

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع، أو مطاع [3] ؛ . . . .

رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً { {سورة الأحزاب، الآية: 40} فلا نبي بعده ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب كافر مرتد عن الإسلام.

(1) (1) أي إن الله بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك ودليل ذلك قول الله تعالى: } وإن من أمة إلا خلا فيها نذير{ {سورة فاطر، الآية: 24}، وقال: } ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت{ .

(2) (2) هذا هو معنى لا إله إلا الله.

(3) (3) أراد شيخ الإسلام رحمه الله بهذا أن التوحيد لايتم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت.

وقد فرض الله ذلك على عباده والطاغوت مشتق من الطغيان، والطغيان مجاوزة الحد ومنه قوله تعالى: } إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية{ {سورة الحاقة، الآية:11}. يعني لما زاد الماء عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية يعني السفينة.

. . . .
. . . .

واصطلاحاً أحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم ـرحمه الله ـ أنه ـ أي الطاغوت ـ: "كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع" . ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عبدوا ـ أو اتبعوا ـ أو أطيعوا فالأصنام التي تعبد من دون الله طواغيت، وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر، أو يدعون إلى البدع، أو إلى تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله طواغيت، والذين يزينون لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستوردونها مخالفة لنظام الدين الإسلامي طواغيت، لأن هؤلاء تجاوزوا حدهم، فإن حد العالم أن يكون متبعاً لما جاء به النبي، صلى الله عليه وسلم، لأن العلماء حقيقة ورثة الأنبياء، يرثونهم في أمتهم علماً وعملاً، وأخلاقاً، ودعوة وتعليماً، فإذا تجاوزوا هذا الحد وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم فهم طواغيت ؛ لأنهم تجاوزوا ما كان يجب عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة.
وأما قوله ـ رحمه الله ـ : "أو مطاع" فيريد به الأمراء الذين يطاعون شرعاً أو قدراً، فالأمراء يطاعون شرعاً إذا أمروا بما لا يخالف أمر الله ورسوله وفي هذه الحال لا يصدق عليهم أنهم طواغيت، والواجب لهم على الرعية السمع والطاعة، وطاعتهم لولاة الأمر في هذا الحال بهذا القيد طاعة الله ـ عز وجل ـ ولهذا ينبغي أن نلاحظ حين ننفذ ما أمر به ولي الأمر مما تجب طاعته فيه أننا في ذلك نتعبد لله ـ تعالى ـ ونتقرب إليه بطاعته، حتى يكون تنفيذنا لهذا الأمر قربة إلى الله عز وجل وإنما ينبغي لنا أن نلاحظ ذلك لأن

. . . .

الله تعالى يقول: } ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم{ {سورة النساء، الآية: 59}.
وأما طاعة الأمراء قدراً فإن الأمراء إذا كانوا أقوياء في سلطتهم فإن الناس يطيعونهم بقوة السلطان وإن لم يكن بوازع الإيمان، لأن طاعة ولي الأمر تكون بوازع الإيمان وهذه هي الطاعة النافعة، النافعة لولاة الأمر، والنافعة للناس أيضاً، وقد تكون الطاعة بوازع السلطان بحيث يكون قوياً يخشى الناس منه ويهابونه لأنه ينكل بمن خالف أمره.
ولهذا نقول : إن الناس مع حكامهم في هذه المسألة لهم أحوال:
الحال الأولى: أن يقوى الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أكمل الأحوال وأعلاها.
الحال الثانية: أن يضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أدنى الأحوال وأخطرها على المجتمع، على حكامه ومحكوميه؛ لأنه إذا ضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني حصلت الفوضى الفكرية والخلقية والعملية.
الحال الثالثة: أن يضعف الوازع الإيماني ويقوى الرادع السلطاني وهذه مرتبة وسطى لأنه إذا قوي الرادع السلطاني صار أصلح للأمة في المظهر فإذا اختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها .
الحال الرابعة: أن يقوى الوازع الإيماني ويضعف الرادع السلطاني فيكون المظهر أدنى منه في الحالة الثالثة لكنه فيما بين الإنسان وربه أكمل وأعلى .

والطواغيت [1] كثيرة ورؤوسهم [2] خمسة: إبليس[3] لعنه الله، ومن عبد وهو راض،[4] ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه [5]، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب[6]؛ . . . .

---

(1) (1) جمع طاغوت وسبق تفسيره.

(2) (2) أي زعماؤهم ومقلدوهم خمسة.

(3) (3) إبليس هو الشيطان الرجيم اللعين الذي قال الله له: } وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين{ {سورة ص، الآية: 78} وكان إبليس مع الملائكة في صحبتهم يعمل بعملهم، ولما أمر بالسجود لآدم ظهر ما فيه من الخبث والإباء والاستكبار فأبى واستكبر وكان من الكافرين فطرد من رحمة الله عز وجل، قال الله تعالى: } وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين { {سورة البقرة، الآية: 34}.

(4) (4) أي عبد من دون الله وهو راض أن يعبد من دون الله فإنه من رؤوس الطواغيت ـ والعياذ بالله ـ وسواء عبد في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك.

(5) (5) أي من دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يُجب.

(6) (6) الغيب ما غاب عن الإنسان وهو نوعان: واقع، ومستقبل، فغيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً ولآخر مجهولاً، وغيب المستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده أو

ومن حكم بغير ما أنزل الله (1) ....

من أطلعه الله عليه من الرسل فمن ادعى علمه فهو كافر ، لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله ، قال الله تعالى : } قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون{ {سورة النمل، الآية: 65}، وإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه محمداً، صلى الله عليه وسلم، أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله ـ عز وجل ـ ورسوله في هذا الخبر.
ونقول لهؤلاء: كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي، صلى الله عليه وسلم، لا يعلم الغيب ؟ هل أنتم أشرف أم الرسول، صلى الله عليه وسلم،؟ فإن قالوا: نحن أشرف من الرسول، كفروا بهذا القول. وإن قالوا : هو أشرف فنقول : لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟ وقد قال الله ـ عز وجل ـ عن نفسه: } عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً{ {سورة الجن، الآيتان:26-27}، وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب، وقد أمر الله تعالى نبيه، صلى الله عليه وسلم، أن يعلن للملأ بقوله: } قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي { {سورة الأنعام، الآية: 50}.
(1) الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية ؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أرباباً لمتبعيهم فقال سبحانه: } اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا

. . . .

ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون{ {سورة التوبة، الآية: 31}، فسمى الله تعالى المتبوعين أرباباً حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالى، وسمى المتبعين عُبَّاداً حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى.

وقد قال عدي بن حاتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم لم يعبدوهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم، : "بل إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم فذاك عبادتهم إياهم".[1] إذا فهمت ذلك فاعلم أن من لم يحكم بما أنزل الله، وأراد أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه، وآيات بكفره وظلمه، وفسقه.

فأما القسم الأول:

فمثل قوله تعالى: } ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً * فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً * أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً * وما أرسلنا

---

[1] رواه الترمذي وحسنه، كتاب التفسير سورة التوبة، 5/262.

. . . .

من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً} {سورة النساء، الآيات: 60-65}. فوصف الله تعالى هؤلاء المدعين للإيمان وهم منافقون بصفات:

الأولى: أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت، وهو كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله، صلى الله عليه وسلم، لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان واعتداء على حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو الله، قال الله تعالى: { ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} {سورة الأعراف، الآية: 54}.

الثانية: أنهم إذا دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صدوا وأعرضوا.

الثالثة: أنهم إذا أصيبوا بمصيبة بما قدمت أيديهم-ومنها أن يعثر على صنيعهم-جاؤوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها زعماً منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر.

ثم حذر ـ سبحانه ـ هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه ـ سبحانه ـ يعلم ما في قلوبهم وما يكنونه من أمور تخالف ما يقولون، وأمر نبيه أن يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، ثم بين أن الحكمة من إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبوع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم، ثم أقسم تعالى بربوبيته لرسوله التي

....
....

هي أخص أنواع الربوبية والتي تتضمن الإشارة إلى صحة رسالته، صلى الله عليه وسلم، أقسم بها قسماً مؤكداً أنه لا يصح الإيمان إلا بثلاثة أمور:
الأول: أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم.
الثاني: أن تنشرح الصدور بحكمه، ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه.
الثالث: أن يحصل التسليم بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون توان أو انحراف.
وأما القسم الثاني:
فمثل قوله تعالى: } ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون{ {سورة المائدة، الآية:44}، وقوله:} ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون{{سورة المائدة، الآية: 45}، وقوله: } ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون{ {سورة المائدة الآية: 47}، وهل هذه الأوصاف الثلاثة تتنزل على موصوف واحد؟ بمعنى أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، لأن الله تعالى وصف الكافرين بالظلم والفسق فقال تعالى: } والكافرون هم الظالمون{ {سورة البقرة، الآية: 254}، وقال تعالى: } إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون { {سورة التوبة، الآية: 84}. فكل كافر ظالم فاسق، أو هذه الأوصاف تتنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على عدم الحكم بما أنزل الله؟ هذا هو الأقرب عندي والله أعلم.

. . . .

فنقول: من لم يحكم بما أنزل الله استخفافاً به، أو احتقاراً له ، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه، وأنفع للخلق أو مثله فهو كافر كفراً مخرجاً عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجاً يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه.
ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به، ولم يحتقره، ولم يعتقد أن غيره أصلح منه لنفسه أو نحو ذلك، فهذا ظالم وليس بكافر وتختلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.
ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافاً بحكم الله، ولا احتقاراً، ولا اعتقاداً أن غيره أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله: إنهم على وجهين:
أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم، وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً.

والدليل[1] قوله تعالى: } لا إكراه في الدين[2] قد تبين الرشد من الغي

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال – كذا العبارة المنقولة عنه –ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصٍ فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب.
وهناك فرق بين المسائل التي تعتبر تشريعاً عاماً والمسألة المعينة التي يحكم فيها القاضي بغير ما أنزل الله لأن المسائل التي تعتبر تشريعاً عاماً لا يتأتى فيها التقسيم السابق، وإنما هي من القسم الأول فقط لأن هذا المشرع تشريعاً يخالف الإسلام إنما شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد كما سبقت الإشارة إليه.
وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق لأن المسألة خطيرة ـ نسأل الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم ـ كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام لتقوم الحجة عليهم وتتبين المحجة فيهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.
(1) (1) أي على وجوب الحكم بما أنزل الله والكفر بالطاغوت.
(2) (2) لا إكراه على الدين لظهور أدلته وبيانها ووضوحها ولهذا قال بعده:
} قد تبين الرشد من الغي{ فإذا تبين الرشد من الغي فإن كل نفس سليمة

فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله [1] فقد استمسك بالعروة الوثقى} [2] {سورة البقرة، الآية: 256} وهذا معنى لا إله إلا الله.
وفي الحديث:* "رأس الأمر الإسلام[3]وعموده الصلاة[4] وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" [5] . . . .

لا بد أن تختار الرشد على الغي.
(1) (1) بدأ الله عز وجل بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله ؛ لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت ولهذا يقال:التخلية قبل التحلية.
(2) (2) أي تمسك بها تمسكاً تاماً والعروة الوثقى هي الإسلام وتأمل كيف قال عز وجل : } فقد استمسك{ ، ولم يقل: (تمسك) لأن الاستمساك أقوى من التمسك فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك.
(3) (3) أراد المؤلف رحمه الله تعالى الاستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأساً فرأس الأمر الذي جاء به محمد، صلى الله عليه وسلم الإسلام.
(4) (4) لأنه لا يقوم إلا بها ولهذا كان القول الراجح كفر تارك الصلاة وأنه ليس له الإسلام.
(5) (5) أي أعلاه وأكمله الجهاد في سبيل الله، وذلك لأن الإنسان إذا أصلح نفسه حاول إصلاح غيره بالجهاد في سبيل الله ليقوم الإسلام ولتكون كلمة الله هي العليا، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وصار ذروة السنام لأن به علو الإسلام على غيره.

---

* رواه أحمد 5/231-237، والترمـذي 5/13 بـرقم 2616، وابن ماجه 2/1394 برقم 2973.

والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم[1] .

---

(1) (1) ختم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رسالته هذه برد العلم إلى الله عز وجل والصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبهذا انتهت الأصول الثلاثة وما يتعلق بها فنسأل الله تعالى أن يثيب مؤلفها أحسن ثواب، وأن يجعل لنا نصيباً من أجرها وثوابها، وأن يجمعنا وإياه في دار كرامته، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* *

خطبة في شرح بعض أسماء الله الحسنى

الحمد لله ذي الصــــفات الكاملة العليـــــا، والأســــماء الفاضـــــلة الحســــنى، خلق الأرض والســــموات العلى، الـرحمن على العـرش اسـتوى، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـــده لا شـــريك له في ألوهيته وربوبيته وتـــدبيره، ولا نظير له في صفاته ولا راد لتقـديره، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله الـذي خضع لربه واسـتعان به في صـغير أمره وجليله ، صـلى الله عليه وعلى آله وأصـحابه الـذين عرفوا الحق بدليله، وسلم تسليماً .

أما بعد: أيها الناس اتقـوا الله تعـالى واعلمـوا أن الله لا شريك له في جميع صفاته ولا مضاهي له في أسـمائه وتقديراته فهو (الله) الـذي تألهه القلـوب بالمحبة والـود والتعظيم، وهو (الرحمن الرحيم) الـذي هو أرحم بعبـاده من الوالــدة بولــدها فما من نعمة وجــدت إلا من رحمته وما من نقمة دفعت إلا من آثــار رحمتــه، وهو (الملــك) مالك العالم كله علوه وسفله، لا يتحرك متحرك إلا بعلمه وإرادته وما يســكن من ســاكن إلا بعلمه وإرادتــه. وهو

(القدوس) الـذي تقـدس وتـنزه عن النقـائص والعيـوب، فلقد خلق السموات بما فيها من النجوم والأفلاك وخلق الأرض بما فيها من البحار والأشجار والجبـال والمصـالح والأقــوات خلق كل ذلك وما بين الســموات والأرض في ستة أيـام سـواء للسـائلين وما مسه من تعب ولا آفـات، وهو

(القوي القهار) فما من مخلوق إلا تحت قدرته وقهره وما من جـــبروت إلا وقد ذل لعظمته وســـطوته، وهو (العليم) الـــذي يعلم السر وأخفى ويعلم ما في الـــبر والبحـــر، وما تســـقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمـات الأرض ولا رطب ولا يـابس إلا في كتـاب مـبين، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمـه، يعلم ما توسـوس به نفس العبد قبل أن يتكلم به وهو الـــرقيب الشـــاهد عليه في كل حالاته وما يعــزب عن ربك من مثقــال ذرة في الأرض ولا في السـماء ولا أصـغر من ذلك ولا أكـبر، وهو (العلي الأعلى) هو العلي في ذاته فـــــوق عرشه العلي في صـــفاته فما يشـــبهه أحد من خلقـــه، وهو (الجبـار) الـذي يجـبر الكسـير والضـعيف ويأخذ القـوي بـالقهر المـنيف، وهو (الغفـور) الـذي يغفر الـذنوب وإن عظمت ويستر العيوب وإن كثرت وفي الحـديث القدسي عنه تبــارك وتعــالى قــال: "يا ابن آدم إنك ما دعوتـــني ورجوتـني غفـرت لك على ما كـان منك ولا أبـالي يا ابن آدم لو أتيتــني بملء الأرض خطايا ثم لقيتــني لا تشــرك بي شــيئاً لأتيتك بملئها مغفــرة" . وهو (الخلاق القــدير) الذي أمسك بقدرته السـموات والأرض أن تـزولا ويمسك السـماء أن تقع على الأرض إلا بإذنـه، وهو (الحكيم) في شرعه وقدره فما خلق شيئاً عبثـاً ولا شـرع عبـادة لهـواً ولعباً ومع ذلك فله الحكم آخراً وأولاً، وهو (الغـني) بذاته عن جميع مخلوقاته، وهو (الكــريم) بجزيل عطائه وهباته فيده لا تغيضها نفقة ملأى سحاء الليل

والنهـــار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق الســـموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه حجابه النـــــور لو كشــــــفه لأحــرقت ســبحات وجهه ما انتهى إليه بصــره من خلقه وفي الحــديث قـال الله تعـالى: "يا عبـادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسـان مسـألته ما نقص ذلك مما عنـدي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر" وفي رواية:

"ذلك بـــأني جـــواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطـــائي كلام، وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقــول له : كن فيكون".

إخواني: هذا شيء يسير من أسماء الله تعالى وما لها من المعاني وإن أسـماءه تعـالى لا يحصى لها تعـداد وله منها تسعة وتسـعون من أحصـاها دخل الجنة وإحصـاؤها هو معرفتها لفظاً ومعنى والتعبد لله بها.

أعــــوذ بالله من الشــيطان الــرجيم } ولله الأســـماء الحسـنى فـادعوه بها وذروا الـذين يلحـدون في أسـمائه ســـيجزون ما كـــانوا يعملـــون{ بـــارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . . الخ.

خطبة في شرح بعض أسماء الله الحسنى أيضاً

الحمد لله العلي الأعلى الكامل في أسـمائه الحسـنى وصفاته العليا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة من سوء المأوى وآمل بها الفـوز بالنعيم المقيم والـدرجات العلا وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسوله المصطفى، صـلى الله عليه وعلى آله وأصـحابه النجباء وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد والجزاء وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها النـاس اتقـوا الله تعـالى واعرفـوا ما لله تعالى من الأسماء والصفات فـإن معرفة ذلك زيـادة في الإيمان وبصيرة في دين الله وعرفان، ولله تعالى تسـعة وتسـعون اسـماً من أحصـاها دخل الجنة ألا وإن من إحصائها أن يعرف العبد لفظها ومعناها ويتعبد لله تعالى بموجبها ومقتضاها.

فمن أسـمائه تعـالى (الحي القيـوم) وهو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجـاب وإذا سـئل به أعطى فهو الحي الكامل في حياته حياة لم يسبقها عـدم ولا يلحقها زوال فهو الحي الـذي لا يمـوت وهو البـاقي وكل من عليها فان، أما القيوم فهو الـذي قـام بنفسه فاسـتغنى عن جميع خلقه وفي الحـديث القدسي أن الله تعـالى يقـول: "يا عبـادي لو أن أولكم وآخـركم وإنسـكم وجنكم كـانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شـيئاً . يا عبـادي لو أن أولكم وآخـركم وإنسـكم وجنكم كانوا على أفجر

قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شـــيئاً .
يا عبادي:
لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صـعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عنـــــدي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر ذلك بــأني جــواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطــائي كلام وعـذابي كلام إنما أمـري لشـيء إذا أردته أن أقـول له : كن فيكون" . وللقيوم معنى آخر وهو القائم على غــيره فكل ما في الســموات والأرض فإنه مضــطر إلى الله لا قيام له ولا ثبـات ولا وجـود إلا بالله]ومن آياته أن تقـوم الســماء والأرض بــأمره[. ومن أســمائه تعـالى (العليم) الذي يعلم كل شيء جملة وتفصيلاً فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في الســـماء] وعنـــده مفـــاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في الــبر والبحر وما تســقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يــابس إلا في كتــاب مــبين[ ]يعلم ما يلج في الأرض وما يخــرج منها وما يــنزل من الســماء وما يعــرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير[.] إن الله عنده علم الســاعة ويــنزل الغيث ويعلم ما في الأرحــام وما تدري نفس مـاذا تكسب غـداً وما تـدري نفس بـأي أرض تموت إن الله عليم خبير[.
ومن أسـمائه تعـالى (القـدير) ذو القـدرة الكاملة فما كان الله ليعجزه من شـيء في السـموات ولا في الأرض وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكــون أرأيتم كيف خلق هذا الكون

العظيم في ســتة أيــام ثم اســتوى على العــرش خلق هذا الكون بأرضه وسمائه وشمسه وقمـره وبحـره وبـره ووهاده وجباله وأنهاره وبحـاره وبقوله وأشـجاره ورطبه ويابسه وظــاهره وباطنه خلق هــذا الكــون على أحسن نظام وأتمه لمصالح عبـاده خلقه كله في سـتة أيـام ولو شاء لخلقه بلحظة ولكنه حكيم يقدر الأمور بأسبابها.

أيها المســلمون إن ما غـــاب عنا من مشـــاهد قدرته أعظم وأعظم بكثير مما نشاهده فلقد جاء في الحــديث: "إن الســموات الســبع والأرضــين الســبع بالنســبة إلى الكرسي الذي وسع السموات والأرض كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض وإن نســبة هـــذا الكرسي إلى العـــرش كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض" فســبحان الله العلي الكبير القوي القدير.

ومن أسمائه تعالى (السميع البصير) يسمع كل شيء ويرى كل شيء لا يخفى عليه دبيب النملة الســوداء على الصـخرة الصـماء في الليلة الظلمـاء يخلقكم في بطـون أمهاتكم خلقـاً من بعد خلق في ظلمـات ثلاث إن جهـرت بقولك سمعه وإن أسررت به لصاحبك سمعه وإن أخفيته في نفسك سمعه وأبلغ من ذلك أنه يعلم ما توسـوس به نفسك وإن لم تنطق به . إن فعلت فعلاً ظاهراً رآك وإن فعلت فعلاً باطنـــاً ولو في جـــوف بيت مظلم رآك وإن تحركت بجميع بدنك رآك وإن حركت عضـواً من أعضـائك رآك وأبلغ من ذلك أنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ومن أسـمائه تعـالى (الـرحمن الـرحيم) فكل ما نحن فيه من نعمة فهي من آثـــار رحمته معاشـــنا من آثـــار رحمته وصـحتنا من رحمته وأموالنا وأولادنا من رحمتـه. الليل والنهـار والمطر والنبـات من رحمتـه.الأمن والرغد من رحمته.إرسال الرسل وإنزال الكتب من رحمتـه.]وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله غفور رحيم[.

أعـــوذ بالله من الشـــيطان الـــرجيم] ولله الأســـماء الحسـنى فـادعوه بها وذروا الـذين يلحـدون في أسـمائه سيجزون ما كانوا يعملون[

بارك الله لي ولكم ... الخ.

خطبة في شرح بعض أسماء الله الحسنى أيضاً

الحمد لله المتفرد بكمال الصفات المتنزه عن العيوب والنقائص والآفات خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ولو شاء لخلقها في لحظات، له الملك وله الحمد وله الخلق وله الأمر في جميع الأوقات فسبحانه من إله عظيم وملك رب رحيم ولطيف بالعباد عليم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وربوبيته والأسماء والصفات وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى على جميع البريات صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان مدى الأوقات وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها النـاس اتقـوا الله تعـالى واعرفـوا ما له من الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا فإن معرفة ذلك زيادة في الإيمان وتثبيت على الحق وإيقان وعبـادة لله على بصيرة وبرهان فمن أسماء الله تعـالى (الملـك) وهو ذو السـلطان الكامل والملك الشـامل المتصـرف بخلقه كما يشاء من غير ممانع ولا مـدافع ما من دابة إلا هو آخذ بناصـيتها له الملك المطلق لا يسـأل عما يفعل وهم يسـألون يـؤتي الملك من يشـاء ويـنزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شـيء قـدير بيـده ملكـوت السـموات والأرض يحـيي ويميت يغـني فقـيراً ويفقر غنيـاً ويضع شـريفاً ويرفع وضيعاً ويوجد معدوماً ويعدم موجوداً

ويبتلي بالنعم ويبتلي بالمصائب ليبلو عباده أيشكرون النعمة أم يكفـرون وهل يصـبرون على المصـائب أو يجزعون يقلب الله الليل والنهار بالرخاء والشدة والأمن والمخافة كل يـوم هـوفي شـأن، ملكه ظـاهر في السموات وفي الأرض ويظهر تماماً حينما يتلاشى الملك عن كل أحد حينما يعرض الخلائق عليه فرادى كما خلقـوا أول مرة]يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شـيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار[.

ومن أسـمائه تعـالى (الجبـار) وله ثلاثة معـان: جـبر القوة، وجبر الرحمة، وجبر العلو.

فأما جبر القوة فهو تعالي الجبار الذي يقهر الجبـابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته فكل جبـــــــار وإن عظم فهو تحت قهر الله وجبروته وفي يده وقبضته .

وأما جبر الرحمة فإنه سـبحانه يجـبر الضـعيف بـالغنى والقوة ويجبر الكسير بالسلامة ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها وإحلال الفـرج والطمأنينة فيها وما يحصل لهم من الثــواب والعاقبة الحميــدة إذا صــبروا على ذلك من أجله.

أما جبر العلو فإنه سبحانه فوق خلقه عال عليهم وهو مع علــوه عليهم قــريب منهم يســمع أقــوالهم ويــرى أفعالهم ويعلم ما توسوس به نفوسهم.

ومن أسمائه تعالى (القدوس السلام) فأما القـدوس فهو الذي تقدس وتعالى عن كل نقص وعيب فالنقص لا يجوز عليه

ولا يمكن في حقه لأنه تعالى الـرب الكامل المسـتحق للعبادة.

وأما الســـلام فهو الســـالم من كل نقص وعيب ومن مماثلة المخلوقين ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وفي الحديث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقولــون قبل أن يفــرض عليهم التشــهد: الســلام على الله من عبـــاده الســـلام على جبريل الســـلام على فلان وفلان فقال النبي، صلى الله عليه وسلم،: "لا تقولوا : السـلام على الله من عباده فإن الله هو السلام" .

أيها الناس: تفكروا في أسماء الله وصـفاته واعرفـوا معناها وتعبــدوا لله تعــالى بها وانظــروا في ملكـــوت السـموات والأرض وما خلق الله فيهما من الآيـات الدالة عليه الــتي هي مقتضى أسـمائه وصـفاته فـإن في كل شيء له آية تدل على أنه واحد .

أعوذ بالله من الشـيطان الـرجيم]هو الله الـذي لا إله إلا هو عـالم الغيب والشـهادة هو الـرحمن الـرحيم . هو الله الـذي لا إله إلا هو الملك القـدوس السـلام المـؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخـالق البـارئ المصـور له الأسـماء الحسـنى يســـــبح له ما في الســـــــموات والأرض وهو العزيز

الحكيم[بـــارك الله لي ولكم في القـــرآن العظيم . . . . الخ.

خطبة في شرح بعض أسماء الله الحسنى أيضاً

الحمد لله العلي الأعلى الكامل في الأسـماء الحسـنى والصـفات العليا رب السـموات ورب الأرض ورب الآخـرة والأولى وأشــهد أن لا إله إلا الله وحــده لا شــريك له ذو الفضل والجـود الـذي لا يحصى وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسوله أفضل من تعبد الله ودعا صــلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن بهداهم اهتدى وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها النـاس اتقـوا الله تعـالى واعلمـوا أن لله تسعة وتسعين اسـماً من أحصـاها دخل الجنة وإحصـاؤها معرفة لفظها ومعناها والتعبد لله بها فمن أســــــمائه تعـالى: (اللـه، الحي، القيـوم، العليم، القـدير، السـميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم، القوي، الملك، القدوس، السلام، الجبار) ومن أسمائه تعـالى (المتكـبر) أي ذو الكبريـــاء والعظمة فالكبريـــاء وصـــفه المختص به فليس لأحد من المخلـــــــوقين أن ينازعه في ذلك ومن نازعه في الكبرياء أذاقه الله الذل والهـوان والمتكـبرون يحشـــرون يـــوم القيامة أمثـــال الـــذر يطـــؤهم النـــاس بأقدامهم .

ومن أسـمائه تعـالى (الخـالق) الـذي خلق السـموات والأرض وما فيهما من المصـــــــــــالح وما بينهما من المخلوقات خلقها الله تعالى كلها في ستة أيـام وأحسن خلقها وأكمله ما تـرى في خلق الـرحمن من تفـاوت ولا تناقض]فارجع البصر هل ترى من

فطـــــور . ثم ارجع البصر كــــرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير[ ]فإنا خلقناكم من تـراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضـــــغة مخلقة وغـــــير مخلقة[ ] يصـــوركم في الأرحـــام كيف يشـــاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم[ ]يخلقكم في بطـون أمهـاتكم خلقـاً من بعد خلق في ظلمـات ثلاث[: ظلمة البطن، وظلمة الـرحم، وظلمة غشـاء الجـنين في بطن أمه ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو فأنى تصرفون يقـدر لكم في ذلك الموضع من الغـذاء ما

لا يستطيع أحد أن يوصله إليكم وذلك بواسطة السرة المنغرسة في عروق الرحم فتمتص من الدم ما يتغذى به جسم الجنين ولا يحتاج معه إلى البول والغائط فسبحان الله رب العالمين. خلق الله تعالى كرسيه وعرشه وهما من أعظم المخلوقات فالكرسي وسع السموات والأرض وما السموات السبع والأرضون السبع بالنسبة إليه إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض والعرش استوى عليه الرحمن وهو أعظم المخلوقات وأعلاها وما الكرسي بالنسبة إليه إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض.

أيها المسلمون: إن هذه المخلوقات العظيمة وما فيها من الإتقان والكمال لتدل دلالة ظاهرة على عظمة خالقها وكماله وأنه أتقن كل شيء وأحسن كل شيء خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين .

ومن أسماء الله تعالى (الرزاق) الذي عم برزقه كل شيء فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها . رزق الله الأجنة في بطون الأمهات والحيتان في قعار البحار والسباع في مهامه القفار والطيور في أعالي الأوكار ورزق كل حيوان وهداه لتحصيل معاشه فأعطى كل شيء خلقه ثم هدى ولو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو في الصباح خماصاً جائعة ثم تروح في المساء بطاناً ممتلئة بطونها بما يسر الله لها من الرزق والأقوات ومن رزق الله تعالى ما يمن الله به على من شاء من خلقه من حسن الخلق وسماحة النفس ومن رزقه تعالى ما يمن الله به على من يشاء من العلم النافع والإيمان الصحيح والعمل الصالح الدائب وهذا أعظم رزق يمن الله به على العبد] ومن يتق الله يجعل له مخرجاً .ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً [وهو سبحانه المعطي المانع فكم من سائل أعطاه سؤله وكم من محتاج أعطاه سؤله وكم من محتاج أعطاه حاجته ودفع ضرورته وإنه تعالى ليستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً وكم منع سبحانه من بلاء انعقدت أسبابه فمنعه عن عباده ودفعه

عنهم فلا مـــــــــانع لما أعطى ولا معطي لما منع وهو سبحانه الـذي بيـده النفع والضر إن جـاءك نفع فمن الله وإن حصل عليك ضر لم يكشفه سـواه ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعـوك بشـيء لم ينفعـوك إلا بشـيء قد كتبه الله لــك. ولو اجتمع النــاس على أن يضــروك بشـــيء لا يضــروك إلا بشــيء قد كتبه الله عليك فربك هو المــدبر المتصرف بخلقه كما يشـاء فالجأ إليه عندالشـدائد تجـده قريباً وافزع إليه بالدعاء تجده مجيباً وإذا عملت سوءاً أو ظلمت نفسك فاستغفره تجده غفوراً رحيماً.

أعـــوذ بالله من الشـــيطان الـــرجيم]ولله الأســـماء الحسـنى فـادعوه بها وذروا الـذين يلحـدون في أسـمائه سيجزون ما كانوا يعملون[بارك الله لي ولكم . . . الخ.

خطبة في شرح بعض أسماء الله الحسنى أيضاً

الحمد لله العلي الأعلى الكامل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها النجاة من سوء المأوى ونؤمل بها الفوز بالنعيم المقيم والدرجات العلا وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى وخليله المجتبى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجباء وعلى التابعين لهم بإحسان ما دامت الأرض والسماء وسلم تسليماً .

أما بعد: فإن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة وإحصاؤها هو معرفة لفظها ومعناها والتعبد لله بمقتضاها فاتقوا الله أيها المسلمون وحققوا هذه الأسماء وما تدل عليه من الصفات العظيمة والمعاني الجليلة لتعبدوا ربكم على بصيرة فإنه لا يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون.

أيها الناس: في هذه الخطبة سنتكلم على ثلاثة أسماء من أسماء الله فمن أسماء الله تعالى (العزيز) فلله العزة جميعاً ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فهو العزيز الذي لا يغلب فما من جموع ولا أجناد ولا قوة إلا وهي ذليلة أمام عزة الله ذلت لعزته الصعاب ولانت لقوته الشدائد الصلاب]كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله[.] كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز[.

ومن أسماء الله تعالى (الحكيم) فهو سبحانه الحاكم والخلق محكومون، له الحكم كله وإليه يرجع الأمر كله يحكم على عباده بقضائه وقدره ويحكم بينهم بدينه وشرعه ثم يوم القيامة يحكم بينهم بالجزاء بين فضله وعدله فلا حاكم إلا الله ولا يجوز تحكيم قانون ولا نظام سوى حكم الله] فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً[ ] ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم[ ] فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً[. فهو سبحانه الحاكم على عباده لا راد لحكمه وقضائه ولا حكم فوق حكمه.

وللحكيم معنى آخر وهو ذو الحكمة. والحكمة ضد السفه فهي وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها ولذلك كانت أحكام الله الكونية والشرعية والجزائية مقرونة بالحكمة ومربوطة بها فلم يخلق سبحانه شيئاً عبثاً ولم يترك خلقه سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون فما أعطى الله شيئاً إلا لحكمة وما منع شيئاً إلا لحكمة ولا أنعم بنعمة إلا لحكمة ولا أصاب بمصيبة إلا لحكمة وما أمر الله بشيء إلا والحكمة في فعله والتزامه ولا نهى عن شيء إلا والحكمة في تركه واجتنابه يقول الله تعالى مقرراً هذه الصفة العظيمة صفة الحكمة:] أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم[.] وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما إلا بالحق[.] أيحسب الإنسان أن يترك سدى[.]وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار[

أيها المسلمون: لقد تبين أن للحكيم معنيين:

أحدهما: الحاكم الذي له الحكم المطلق الكامل من جميع الوجوه.

والثاني: أنه ذو الحكمة الذي لم يخلق شيئاً عبثاً ولم يشرع شيئاً باطلاً ولم يجز عاملاً إلا بما عمل، المحسن بالإحسان والمسيء بمثل سيئته.

وله معنى ثالث وهو المحكم الذي أحكم كل شيء خلقه فما في خلق الرحمن من تفاوت ولا تناقض ولا خلل .]صنع الله الذي أتقن كل شيء [وليس في شرعه من تناقض ولا اختلاف]ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً[.

ومن أسماء الله تعالى (القوي) والقوة ضد الضعف فهو سبحانه وتعالى يخلق المخلوقات العظيمة من غير ضعف لم يزل ولا يزال قوياً والخلق ضعفاء، ضعفاء في ذاتهم وضعفاء في أعمالهم يقول الله تعالى مقرراً هذه الصفة العظيمة:]ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب[يعني من تعب ولا ضعف فهو القوي ذو القوة الكاملة والخلق ضعفاء مهما بلغت قوتهم]الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة [وهؤلاء عاد إرم ذات العماد والقوة، كان بعضهم يحمل الصخرة العظيمة من غير مبالاة حتى بلغ بهم الغرور أن قالوا :من أشد منا قوة فقال الله تعالى:]أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة [فكل قوة مهما عظمت فهي ضعيفة أمام قوة الخالق العظيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم]ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون[. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم... الخ.

خطبة في الحث على الإيمان بأسماء الله تعالى

الحمد لله الذي كتب الإيمان في قلوب المؤمنين حتى شاهدوا بعين البصيرة ونور العلم ما كان غائباً عن العيون وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحي الكامل في حياته العليم الكامل في علمه القدير الكامل في قدرته فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول : كن فيكون وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين

وخاتم النبيين وسيد الموقنين آمن فأيقن وعمل فأتقن واستمر على ذلك حتى أتاه اليقين فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى وآمنوا به وحققوا إيمانكم بمعرفة ربكم بأسمائه وصفاته وأفعاله وبالعمل بما تقتضيه وتوجبه تلك الأسماء والصفات، آمنوا بأن الله حي قيوم حياته كاملة لم يسبقها عدم ولا يلحقها فناء فكل شيء هالك إلا وجهه فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، هو قيوم السموات والأرض قام بنفسه فلم يحتج إلى أحد من خلقه وفي الحديث الصحيح أنه تبارك وتعالى يقول: "يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني" وهو الذي قامت السموات والأرض بأمره ولم يستغن عنه أحد من خلقه فالعباد مضطرون إليه في جميع أحوالهم وأوقاتهم لا غنى لهم عن ربهم طرفة عين.

آمنوا بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء حفيظ رقيب وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء]وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولارطب ولا يابس إلا في كتاب مبين[فجميع حركاتكم وسكناتكم وأقوالكم وأفعالكم معلومة عند ربكم محفوظة لكم مسجلة عليكم في كتاب مبين . فحققوا رحمكم الله الإيمان بهذه الصفة صفة العلم حققوها تحقيقاً عملياً تطبيقاً كما أنكم مأمورون بتحقيقها تحقيقاً علمياً . فإذا علمتم أن الله يعلم سركم وجهركم ويحفظ ذلك لكم فإن مقتضى ذلك أن تعبدوه سراً وجهراً وأن تقدموا طاعته وخشيته على كل خشية وشريعته على كل شريعة ونظام.

أيها المسلم: ربما تعصي الله جهاراً علناً من غير مبالاة وربما تعصي الله سراً خفاء خوفاً أو حياء من

الناس فاعلم أنك في كلتا الحالين لا تخفى على الله حالك وأن الله يعلم بك ويسمع ما تقول ويرى ما تفعل ويحفظ ذلك في كتاب مبين . فهل يليق بك أن تعصيه بعد ذلك بمخالفة أمره أو ارتكاب نهيه.

عباد الله: آمنوا بأن الله على كل شيء قدير وأنه جواد كريم]وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً[فهو قدير على تغيير الأمور وتحويلها وعلى

منع الأمور وتيسيرها . قال تعالى:]وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر[وكم من آية في السموات والأرض تبرهن على قدرته وأن جميع الأمور بيده فإذا حققتم ذلك أوجب لكم أن تعلقوا رجاءكم به عند الشدائد وأن تسألوه ما تحبون عند المطالب وأن تعلموا أن قدرته وإرادته فوق الأسباب وكم من أمور حدثت مع استبعاد الناس حدوثها وكم من أمور عدمت مع استبعاد الناس عدمها كل ذلك دليل على أن قدرته فوق كل تقدير وتدبيره فوق كل تدبير.

عباد الله: آمنوا بأن الله حكيم يضع الأمور في مواضعها فلم يخلق خلقاً عبثاً ولم يشرع شرعاً سفهاً فكل ما قضاه وقدره فلحكمة وكل ما شرعه لعباده من أمر ونهي فلحكمة فإذا آمنتم بذلك حق الإيمان أوجب لكم أن تقفوا عند أفعال الله وأحكامه وأن لا تعترضوا على شرعه وخلقه وأن تتأدبوا بالأدب الواجب تجاه حكمة الله فإن تبينت لكم الحكمة فذلك من فضل الله ومن نعمته وإن لم تتبين لكم الحكمة فكلوا الأمر إلى العليم الحكيم واعرفوا كمال علم الله وحكمته ونقص علمكم وحكمتكم وقولوا : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد، صلى الله عليه وسلم، نبياً. كيف يعترض على شرع الله من كان مؤمناً بالله وعلمه وحكمته .

أيها المسلمون: آمنوا بأن الله حكم عدل قهار فإذا حققتم الإيمان بذلك أوجب لكم الإنصاف من أنفسكم والامتناع عن الظلم لأن فوق أيديكم يد الواحد القهار واعلموا أن لكم موقفاً بين يدي الله عز وجل يقضي فيه للمظلوم من الظالم حتى يتمنى القاضي العادل أنه لم يقض بين اثنين في تمرة لما يرى من أخذ الظلمة فيخاف أن يكون قد ظلم فيتمنى أن يكون قد سلم لكن القاضي العادل الذي علم الحق فقضى به ليس عليه إثم ولا وبال بل هو في الجنة وغير القاضي من الولاة مثله فليحذر من ولاه الله على شيء أن يظلم وليتذكر أن الله حكم عدل قهار.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم] ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون[.بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . . .الخ .

خطبة في ذكر بعض آيات الله الكونية

الحمد لله الملك الحق المبين الذي أبان لعباده من آياته ما به عبرة للمعتبرين وهداية للمهتدين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً .

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واحمدوه على ما أراكم من آياته الدالة على وحدانيته وعلى كمال ربوبيته فإن في كل شيء له آية تدل على أنه إله واحد كامل العلم والقدرة والرحمة فمن آياته خلق السموات والأرض فمن نظر إلى السماء في حسنها وكمالها وارتفاعها وقوتها عرف بذلك تمام قوله تعالى:

]أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها[ ] والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون[ ]فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير[ ] أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج[ومن نظر إلى الأرض كيف مهدها الله وسلك لنا فيها سبلاً وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ويسرها لعباده فجعلها لهم ذلولاً يمشون في مناكبها ويأكلون من رزقه فيحرثون ويزرعون ويستخرجون منها الماء فيسقون ويشربون وكيف جعلها الله تعالى قراراً للخلق لا تضطرب بهم ولا تزلزل بهم إلا بإذن الله:]وفي الأرض آيات للموقنين [ ]وفي الأرض قطع متجاورات[مختلفة في ذاتها وصفاتها ومنافعها]و[ ]في الأرض جنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في

الأكل]فمن تأمل ذلك علم كمال قدرة الله تعالى ورحمته بعباده .

ومن آياته ما بث الله تعالى في السموات والأرض من دابة ففي السماء ملائكته لا يحصيهم إلا الله تعالى ما من موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم لله تعالى أو راكع أو ساجد يطوف منهم كل يوم بالبيت المعمور في السماء السابعة سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة وفي الأرض من أجناس الدواب وأنواعها مالا يحصى أجناسه فضلاً عن أنواعه وأفراده هذه الدواب مختلفة الأجناس والأشكال والأحوال فمنها النافع للعباد الذي به يعرفون كمال نعمة الله عليهم ومنها الضار الذي يعرف الإنسان به قدر نفسه وضعفه أمام خلق الله وهذه الدواب المنتشرة في البراري والبحار تسبح بحمد الله وتقد س له وتشهد بتوحيده وربوبيته] تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم[وكل هذه الدواب رزقها على خالقها وبارئها] وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها[.

ومن آياته تعالى الليل والنهار الليل جعله الله تعالى سكناً للعباد يسكنون فيه وينامون ويستريحون والنهار جعله الله تعالى معاشاً للناس يبتغون فيه من فضل الله] قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون[.

ومن آيات الله تعالى الشمس والقمر حيث يجريان في فلكهما منذ خلقهما الله تعالى حتى يأذن بخراب العالم يجريان بسير منتظم لا تغير فيه ولا انحراف ولا فساد ولا اختلاف]والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد

كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون[ومن آياته تعالى هذه الكواكب والنجوم العظيمة التي لا يحصيها كثرة ولا يعلمها عظمة إلا الله تعالى فمنها السيارات ومنها الثوابت ومنها المتصاحبات التي لا تزال مقترنة ومنها المتفارقات التي تجتمع أحياناً وتفترق أحياناً تسير بأمر الله تعالى وتدبيره زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فالكون كله من آيات الله جملة وتفصيلاً هو الذي خلقه وهو المدبر له وحده لا يدبر الكون نفسه ولا يدبره أحد غير الله يقول الله تعالى مبرهناًعلى ذلك :] أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون[نعم فالعالم لم يخلق نفسه ولم يكن مخلوقاً من غير شيء بل لا بد له من خالق يخلقه ويقوم بأمره وهو الله سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه .

أيها الناس: لو حدثتم بقصر مشيد مكتمل البناء قد بنى نفسه لقلتم : هذا من أكبر المحال ولو قيل لكم : إن هذا القصر وجد صدفة لقلتم : هذا أبلغ محالاً إذاً فهذا الكون الواسع كون العالم العلوي والعالم السفلي لا يمكن أن يوجد نفسه ولا يمكن أن يوجد صدفة بلا موجد بل لا بد له من موجد واحد عليم قادر وهو الله سبحانه وتعالى.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم]إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين [إلى قوله تعالى:] فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون[بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ....الخ .

خطبة في ذكر بعض آيات الله الكونية أيضاً

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وجعل في ذلك من المصالح العظيمة والحكم البالغة ما تتقاصر دونه فهوم ذوي الأفهام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأنام ومصباح

الظلام، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الليالي والأيام وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا ربكم واشكروه على ما هداكم وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون علمكم ما فيه صلاح دينكم ودنياكم وحجب عنكم من العلم مالا تدركه عقولكم ولا تتعلق به مصالحكم رحمة بكم]وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً [.

علمكم كيف ابتدأ خلق هذا العالم وهو الأمر الذي لا يمكن علمه إلا من طريق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فكل من ذكر شيئاً عن كيفية خلق السموات والأرض فإن الواجب أن نعرض قوله على ما جاءت به الرسل فإن طابقه فهو مقبول وإن خالفه فهو مردود وإن كان مسكوتاً عنه فيما جاءت به الرسل فإننا نتوقف فيه حتى يتبين لنا أمره من حق أو باطل .

لقد علمنا الله أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ابتدأ خلق الأرض في يومين وجعل فيها رواسي من

فوقها وهيأها لما تصلح له من الأقوات في يومين آخرين فتلك أربعة أيام ثم استوى إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها فتلك ستة أيام خلق الله فيها السموات والأرض وأودع فيهن مصالحهن فأخرج من الأرض ماءها ومرعاها وقدر الأقوات فيها تقديراً يناسب الزمان والمكان لتكون الأقوات متنوعة ومستمرة أنواعها في كل زمان وليتبادل الناس الأقوات فيما بينهم يصدر هذا إلى هذا وهذا إلى هذا فيحصل بذلك من المكاسب والاتصال بين الناس ما فيه مصلحة الجميع وزين الله السماء الدنيا بمصابيح وهي النجوم وجعلها رجوماً للشياطين التي تسترق السمع من السماء وعلامات يهتدي بها الناس في البر والبحر .

وسخر لعباده الليل والنهار يتعاقبان على الأرض لتقوم مصالح العباد في دينهم ودنياهم وقد بين الله تعالى فضله علينا في ذلك حيث يقول لنبيه، صلى الله

عليه وسلم،:] قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون[.

واختلاف الليل والنهار يكون بسبب دوران الشمس على الأرض فإن الله سخر لنا الشمس والقمر دائبين وجعلهما آيتين من آيات الله الدالة على كمال قدرته وسعة رحمته فمنذ خلقهما الله تعالى وهما يسيران في فلكيهما على حسب أمر الله لا يرتفعان عنه صعوداً ولا ينحدران عنه نزولاً ولا يميلان يميناً ولا شمالاً وقدرهما منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فباختلاف منازل القمر تختلف الأهلة والشهور وباختلاف منازل الشمس تختلف الفصول فإذا حلت الشمس آخر البروج الشمالية انتهى النهار في الطول ودخل فصل القيظ ثم ترجع شيئاً فشيئاً حتى ترجع إلى البروج اليمانية فإذا حلت آخر برج منها انتهى الليل في الطول ودخل فصل الشتاء وفي اختلاف الفصول من المصالح وتنوع الأقوات ما يعرف به قدر نعمة الله ورحمته وحكمته .

وهكذا تسير الشمس والقمر في فلكيهما في انتظام باهر وسير محكم كل يجري إلى أجل مسمى إلى أن يأذن الله بخراب هذا العالم فتخرج الشمس من مغربها كما في صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين غربت الشمس: "أتدري أين تذهب؟" قلت: الله ورسوله أعلم قال: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها : ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها" . وفي هذا الحديث دليل ظاهر على أن الشمس تسير بنفسها كما يدل على ذلك قوله تعالى:]والشمس تجري لمستقر لها[وقوله:] كل يجري إلى أجل مسمى[وقوله:]وكل في فلك يسبحون[فهذه الأدلة

تكذب ما يقال من أن الشمس ثابتة لا تدور وتدل على أنه قول باطل يجب رده وتكذيبه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى:]الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار[أقول قولي هذا... الخ.

خطبة في بيان بدعة عيد المولد

الحمد لله الذي من على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين الذي أسبغ على عباده نعمه ووسعهم برحمته وهو أرحم الراحمين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويكمل لهم به الدين فلم يترك شيئاً يقرب إلى الله وينفع الخلق إلا بينه وأمر به ولا شيئاً يبعدهم عن ربهم أو يضرهم إلا حذر عنه حتى ترك أمته على ملة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً .

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أن أعظم منة وأكبر نعمة من الله على عباده أن بعث فيهم الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وكان أعظمهم قدراً وأبلغهم أثراً وأعمهم رسالة محمد، صلى الله عليه وسلم، الذي بعثه الله تعالى لهداية الخلق أجمعين وختم به النبيين بعثه الله على حين فترة من الرسل والناس أشد ما يكونون حاجة إلى نور الرسالة فهدى الله به من الضلالة

وألف به بعد الفرقة وأغنى به بعد العيلة فأصبح الناس بنعمة الله إخواناً وفي دين الله أعواناً فدانت الأمم لهذا الدين وكان المتمسكون به غرة بيضاء في جبين التاريخ فلما كانت الأمة الإسلامية حريصة على تنفيذ شرع الله متمشية في عباداتها ومعاملاتها وسياستها الداخلية والخارجية على ما كان عليه قائدها وهاديها محمد، صلى الله عليه وسلم، لما كانت الأمة الإسلامية على هذا الوصف كانت هي الأمة الظاهرة الظافرة المنصورة ولما حصل فيها ما حصل من الانحراف عن هذا السبيل تغير الوضع فجعل بأسهم بينهم وسلط عليهم وكانوا غثاء كغثاء السيل فتداعت عليهم الأمم وفرقتهم الأهواء ولن يعود لهذه الأمة مجدها الثابت وعزها المستقر حتى تعود أفراداً وشعوباً إلى دينها الذي به عزتها وتطبق هذا الدين قولاً وعملاً وعقيدة وهدياً على ما جاء عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الكرام وإن من تمام تطبيقه أن لا يشرع شيء من العبادات والمواسم الدينية إلا ما كان ثابتاً عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإن الناس إنما أمروا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فمن تعبد الله بما لم يشرعه الله فعمله مردود عليه لقول النبي، صلى الله عليه وسلم،: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" وهو في نظر الشارع بدعة وكل بدعة ضلالة.

وإن من جملة البدع ما ابتدعه بعض الناس في شهر ربيع الأول من بدعة عيد المولد النبوي، يجتمعون في الليلة الثانية عشرة منه في المساجد أو البيوت فيصلون على النبي، صلى الله عليه وسلم بصلوات مبتدعة ويقرؤون مدائح للنبي، صلى الله عليه وسلم، تخرج بهم إلى حد الغلو الذي نهى عنه النبي، صلى الله عليه وسلم، وربما صنعوا مع ذلك طعاماً يسهرون عليه فأضاعوا المال والزمان وأتعبوا الأبدان فيما لم يشرعه الله ولا رسوله ولا عمله الخلفاء الراشدون ولا الصحابة ولا المسلمون في القرون الثلاثة المفضلة ولا التابعون بإحسان ولو كان خيراً لسبقونا إليه ولو كان خيراً ما حرمه الله تعالى سلف هذه الأمة وفيهم الخلفاء

الراشدون والأئمة وما كان الله تعالى ليحرم سلف هذه الأمة ذلك الخير لو كان خيراً ثم يأتي أناس من القرن الرابع الهجري فيحدثون تلك البدعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم): ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى وإما محبة للنبي، صلى الله عليه وسلم، وتعظيماً له من اتخاذ مولد النبي، صلى الله عليه وسلم، عيداً مع اختلاف الناس في مولده فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع ولو كان خيراً محضاً أو راجحاً كان السلف أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة للنبي، صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له منا وهم على الخير أحرص وإنما كانت محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته ظاهراً وباطناً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حرصاء على هذه البدع تجدهم فاترين في أمر الرسول، صلى الله عليه وسلم مما أمروا بالنشاط فيه وإنما هم بمنزلة من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه ولا يتبعه

أ . هـ كلامه رحمه الله تعالى.

أيها المسلمون إن بدعة عيد المولد التي تقام في شهر ربيع الأول في الليلة الثانية عشرة منه ليس لها أساس من التاريخ لأنه لم يثبت أن ولادة النبي، صلى الله عليه وسلم، كانت تلك الليلة وقد اضطربت أقوال المؤرخين في ذلك فبعضهم زعم أن ولادته في اليوم الثاني من الشهر وبعضهم في الثامن وبعضهم في التاسع وبعضهم في العاشر وبعضهم في الثاني عشر وبعضهم في السابع عشر وبعضهم في الثاني والعشرين فهذه أقوال سبعة ليس لبعضها ما يدل على رجحانه على الآخر فيبقى تعيين مولده، صلى الله عليه وسلم، من الشهر مجهولاً إلا أن بعض المعاصرين حقق أنه كان في اليوم التاسع.

وإذا لم يكن لبدعة عيد مولد النبي، صلى الله عليه وسلم، أساس من التاريخ فليس لها أساس من الدين أيضاً فإن النبي، صلى الله عليه وسلم، لم يفعلها ولم يأمر بها ولم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم،: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة" . وكان يقول في خطبة الجمعة: "أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" . والأعياد والمواسم الدينية التي يقصد بها التقرب إلى الله تعالى بتعظيمه وتعظيم نبيه، صلى الله عليه وسلم، هي من العبادات فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى ورسوله ولا يتعبد أحد بشيء منها إلا ما جاء عن الله ورسوله . وفيما شرعه الله تعالى من تعظيم رسوله، صلى الله عليه وسلم،ووسائل محبته ما يغني عن كل وسيلة تبتدع وتحدث. فاتقوا الله عباد الله واستغنوا بما شرعه عما لم يشرعه وبما سنه رسول الله، صلى الله عليه وسلم،عما لم يسنه.

أيها المسلمون إننا لم نتكلم عن هذه البدعة لأنها موجودة في بلادنا فإنها ولله الحمد لم تعرفها ولا تعمل بها اقتداء برسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه ولكن لما كان الكثير قد يسمع عنها في الإذاعات أردنا أن نبين أصلها وحكمها حتى يكون المسلمون على بصيرة منها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالى:]وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون[أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة في ذكر شيء من آيات النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي أيد الرسول محمداً، صلى الله عليه وسلم، بالآيات البينات واختصه بالفضائل الكثيرة والكرامات وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى على جميع المخلوقات المبعوث رحمة للعالمين وقدوة للسالكين إلى رب الأرض والسموات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان في الأقوال والأعمال والاعتقادات وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واعرفوا ما أيد الله به نبيكم، صلى الله عليه وسلم، من الآيات فإن الله أعطاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر وأبلغ ما أوتيه، صلى الله عليه وسلم، هذا القرآن العظيم ففيه عبرة لمن اعتبر، فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وفصل ما بينكم اشتمل على ذكر أخبار الأولين والآخرين وعلى الفصاحة والبلاغة اللتين عجزت عنهما مدارك الجن والإنس السابقين منهم واللاحقين:]قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً[أي معاوناً ألا وإن من أعظم آياته سيرته في عبادته ومعاملاته وأخلاقه كان، صلى الله عليه وسلم، أتقى الناس لله تعالى وأجود الناس وأشجعهم وأصبرهم وأحسنهم مجالسة وألطفهم مكالمة وألينهم جانباً وأبلغهم في جميع صفات الكمال ألا وإن من آياته، صلى الله عليه وسلم، انشقاق هذا القمر فرقتين كل فرقة منهما على جبل حين طلب أهل مكة من النبي، صلى الله عليه وسلم، آية ألا وإن من آياته، صلى الله عليه وسلم، إجابة دعائه في استسقائه واستصحائه وغير ذلك ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: "بينما النبي، صلى الله عليه وسلم، يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة – يعني قطعة غيم – فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى

رأيت المطر يتحادر على لحيته حتى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال: اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير إلى ناحية من السماء إلا انفرجت وصارت المدينة في مثل الجوبة" يعني أن ما فوقها صحو وما على جوانبها ليس بصحو وإنما يمطر، ومن آياته، صلى الله عليه وسلم، أنه حضرت الصلاة ذات يوم وهو في أصحابه وليس عندهم ما يتوضؤون به فجيء بقدح فيه ماء يسير فأخذه نبي الله، صلى الله عليه وسلم، فتوضأ منه ثم مد أصابعه الأربع على القدح فجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتى توضأ القوم أجمعون وكانوا ثمانين رجلاً . وأتي بإناء فيه ماء يسير لا يغطي أصابعه فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم أجمعون وكانوا ثلاثمائة رجل، ومن آياته، صلى الله عليه وسلم، أنه أراد ذات يوم أن يقضي حاجته فنظر فلم ير شيئاً يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي علي بإذن الله فانقادت عليه كالبعير الذي يصانع قائده ثم فعل بالأخرى مثلها ثم جمعهما فقال: التئما علي بإذن الله فالتأمتا عليه فلما فرغ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق، وقال له جبريل: أتحب أن أريك آية قال : نعم قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: ادع تلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشي حتى وقفت بين يديه فقال جبريل: مرها فلترجع فأمرها فرجعت إلى مكانها، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنت مع النبي، صلى الله عليه وسلم، بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا قال: السلام عليكم يا رسول الله . وجاء قوم إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يارسول الله إن لنا بعيراً قد ند في حائط فجاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى البعير فقال : تعال فجاء البعير مطأطئاً رأسه حتى خطمه وأعطاه أصحابه فقال أبو بكر: يا رسول الله كأنه علم أنك نبي

فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم،: "ما بين لا بتيها أحد لا يعلم أني نبي الله إلا كفرة الجن والإنس". وآياته الدالة على أنه رسول الله كثيرة جداً فسبحان من أيد هذا النبي بأنواع الآيات البينات ورفع له ذكره بين جميع المخلوقات اللهم فأحينا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا منه إنك جواد كريم رؤوف رحيم .

خطبة في ذكر شيء من آيات الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام

الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نعم المولى ونعم النصير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المعاد والمصير وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أن الله تعالى له تمام الملك وكمال الحمد فمن تمام ملكه وكماله أنه لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض وأنه ما من شيء في السموات والأرض إلا هو خالقه ومالكه ومدبره ومن تمام حمده وكماله أنه لم يقدر شيئاً ولم يشرع مشروعاً إلا لحكمة وعلى وفق الحكمة ومن ذلك ما يقدره الله تعالى من الآيات الدالة على صدق الرسل تأييداً لهم وإقامة للحجة على أممهم فهذه النار الحارة المهلكة كانت برداً وسلاماً على إبراهيم نبي الله وخليله عليه الصلاة والسلام حين ألقاه فيها كفار قومه قال ابن عباس رضي الله عنهما : لولا أن الله قال :]وسلاماً[لآذى إبراهيم بردها.

وهذا نبي الله موسى، صلى الله عليه وسلم، ضرب بعصاه البحر فانفلق اثني عشر طريقاً حتى ظهرت أرض البحر يبساً وكان الماء السائل من بين هذه الطرق كالجبال راكداً لا يسيل، ولما استسقى لقومه أمر أن يضرب بعصاه الحجر فتفجر الحجر عيوناً اثنتي عشرة

عيناً وكان يضع عصاه فتنقلب حية تسعى فإذا أخذه رجع على حاله الأولى.

وهذا عيسى ابن مريم، صلى الله عليه وسلم كان يحيي الموتى بإذن الله فيأتي إلى القبر فيدعو صاحبه فيخرج بإذن الله وكان يخلق من الطين على صورة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً يطير بإذن الله.

وهذا رسول الله وخليله محمد، صلى الله عليه وسلم، جرى له من الآيات الدالة على صدقة شيء كثير فمن ذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما ثبت ذلك بطرق متواترة قطعية واتفق عليه العلماء والأئمة وكان إذا قحط المطر يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب قال أنس رضي الله عنه : رفع النبي، صلى الله عليه وسلم، يديه يستسقي وما رأينا في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته قال: فمطرنا إلى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا" فما يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الإكليل . والمطر حولها يميناً وشمالاً، وعطش الناس يوم الحديبية وبين يدي النبي، صلى الله عليه وسلم، ركوة (الركوة إناء من جلد يشرب منه الماء) يتوضأ منها فجهش الناس نحوه فقال :" مالكم؟" قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا. قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئة ألف لكفانا كنا ألفاً وخمسمائة . أو قال: ألفاً وأربعمائة ، وكان المسلمون في سفر مع نبيهم، صلى الله عليه وسلم، فاحتاجوا إلى الطعام فدعا ببقايا طعام كانت معهم فدعا الله فيها بالبركة ثم أمرهم أن يأتوا بأوعيتهم فجاؤوا بها فملأها وفضل فضل كثير فقال رسول الله، صلى الله

عليه وسلم، عند ذلك : "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني عبدالله ورسوله ومن لقي الله عز وجل بهما غير شاك دخل الجنة" . وكان له، صلى الله عليه وسلم، جذع نخلة يسند ظهره إليه يوم الجمعة فلما صنع له المنبر وخطب عليه جعل الجذع يئن كما يئن الصبي حتى نزل النبي، صلى الله عليه وسلم، فسكنه كما يسكن الصبي حتى سكن. ولله تعالى من الآيات وخوارق العادات ما يشهد بتمام ملكه وقدرته وما هو أعظم برهان على علمه وحكمته قال الله تعالى:]سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد[بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

خطبة في الدجال ونزول عيسى ابن مريم

الحمد لله الذي يسر لنا الأسباب المانعة من الضلال والافتتان ووضح لنا الفتن وبين لنا الأسباب التي نتحصن بها أعظم بيان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المنان وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى من بني عدنان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة مستمرة باستمرار الزمان وسلم تسليماً .

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واعلموا أن ما أخبر به النبي، صلى الله عليه وسلم، من أشراط الساعة وأماراتها حق يجب اعتقاده وقد ذكر للساعة أشراطاً كثيرة منها ما مضى ومنها ما هو حاضر، ومنها ما هو مستقبل وأبلغ ما يكون من أشرا طها وأعظمه فتنة هي فتنة المسيح الدجال فقد صح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال وأنه ما من نبي إلا وقد أنذر به أمته وأنه يجيء معه بمثل الجنة والنار فالتي يقول إنها جنة نار تحرق والتي يقول : إنها نار ماء عذب طيب فمن أدرك ذلك منكم فليقع فيه" . وقال، صلى الله عليه وسلم،: "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي

على كل مسلم، إنه شاب قطط أعور العين اليسرى مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب فمن أدركه منكم فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاثٍ يميناً وعاثٍ شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا " قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال: "أربعون يوماً : يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم" قلنا: يارسول الله فاليوم الذي كسنة يكفينا فيه صلاة واحدة؟ قال: "لا ، اقدروا له قدره" . وأما إسراعه في الأرض فكالغيث استدبرته الريح يأتي على القوم يدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ويدعو قوماً آخرين فيردون دعوته فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين يمر بالخربة فيأمرها فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ويؤتى برجل فيقول : أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأمر به الدجال فيوسع ظهره وبطنه ضرباً ثم يقول : أوما تؤمن بي؟ فيقول : أنت المسيح الكذاب فيؤمر به فيؤشر بالميشار من مفرقه حتى رجليه ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم فيستوي قائماً، ثم يقول: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، فيأخذه الدجال ليذبحه فلا يسلط عليه . وقال النبي، صلى الله عليه وسلم،:"ليفرن الناس من الدجال حتى يلحقوا بالجبال" قالت أم شريك :فأين العرب يومئذ ؟ قال: "هم قليل" . ويتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفاً فيخرج همته المدينة فتصرف الملائكة وجهه عنها لأن على كل باب منها ملكين يمنعانه من الدخول فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (أي حلتين مصبوغتين بورس أو زعفران) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي إليه طرفه فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله.

فسبحان من مكن الدجال من هذه المعجزات فتنة لعباده وبين لهم العلامات التي تبين بطلان ما ادعاه وفساده فإنه أعور ناقص في ذاته وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن إنه إذا قتل الرجل ثم أحياه لم يقدر عليه بعد ذلك فهو ناقص في قدرته إن جنته نار وناره ماء طيب عذب فما جاء به باطل إنه مخلوق وجد بعد أن لم يكن إنه يفنى ويقتل وإنه في الأرض لا في السماء وكل هذه صفات المخلوق الناقص التي تبرهن على أنه ليس بإله]إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون .إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقّاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده[بارك الله لي ولكم.

خطبة في ذكر يأجوج ومأجوج

الحمد لله العلي القدير السميع البصير الذي أحاط بكل شيء علماً وهو اللطيف الخبير علم ما كان وما يكون وخلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها النجاة في يوم النشور وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن على طريقتهم يسير وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها المؤمنون اتقوا الله تعالى واستعدوا لليوم الآخر فقد أنذرتموه واستقبلوه بالأعمال الصالحة واخشوا من عقابه واحذروه وقد قدم الله تعالى بين يدي هذا اليوم أشراطاً وعلامات وذلك لعظم هوله وشدته فإنه اليوم الذي يجازى فيه الخلائق فيجزى المؤمن بحسناته ويجزى المسيء بالسيئات .

ألا وإن من أشراط الساعة خروج يأجوج ومأجوج وهم قوم من بني آدم على صفة الآدميين وأما ما يعتقده بعض الناس من أن فيهم الطويل المفرط وفيهم القصير جداً وأنهم على أشكال غريبة فإن هذا الاعتقاد

مبني على غير دليل صحيح وقد ورد عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنهم عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعور وقد حذر النبي، صلى الله عليه وسلم العرب من خروج يأجوج ومأجوج لأنهم قوم مفسدون في الأرض والعرب حملة راية الإصلاح إلى العالم لأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، بعث فيهم فعن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : استيقظ النبي، صلى الله عليه وسلم، من نومه محمراً وجهه وهو يقول: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب : فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال:"نعم إذا كثر الخبث" .

فأما وقت خروجهم الذي تكون به نهايتهم وهلاكهم فإنه إذا قتل عيسى ابن مريم الدجال أوحى الله إليه إني قد أخرجت عباداً لي لا قوة لأحد على قتالهم ـ يعني يأجوج ومأجوج ـ فيبعثهم الله من كل حدب ينسلون أي من كل موضع مرتفع يأتون سراعاً وهذا دليل على كثرتهم وقوتهم وجشعهم فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم على البحيرة وقد شرب ماؤها فيقولون : لقد كان في هذه مرة ماء ثم يسيرون حتى يصلوا إلى جبل بيت المقدس فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً فتنة لهم وينحصر نبي الله عيسى، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه في الطور ويضيق عيشهم قال النبي، صلى الله عليه وسلم،:" حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم" فيبتهل عيسى، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه إلى الله تعالى أن يهلك يأجوج ومأجوج فيرسل الله عليهم دوداً في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه من الطور فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا وقد ملأه زهم يأجوج ومأجوج ونتنهم فيبتهل عيسى وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل على جثث يأجوج ومأجوج طيراً كأعناق الإبل البخت

فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى ثم يرسل الله تعالى مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يدعها كالمرآة في نظافتها ثم يقال لها : أنبتي ثمرتك وردي بركتك فتنزل البركة في الثمرات والدر حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمير فعليهم تقوم الساعة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم] حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين[. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . . الخ.

خطبة في ذكر عدد من أشراط الساعة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب فمنه بدأ وإليه يعود والحمد لله الذي بوأ لإبراهيم مكان البيت للركوع والسجود وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وعنده علم الساعة وإليه المآب والرجوع وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء شهيد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الرسل وخلاصة العبيد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم في التقوى والقول السديد وسلم تسليماً .

أما بعد: أيها المؤمنون اتقوا الله تعالى فإن تقوى الله سبب لسعادة الدنيا والآخرة ومن يتق الله يجعل له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً وييسر له أمره وينور له قلبه ويغفر له ذنبه ألا وإن التقوى هي اتخاذ ما يقي من عذاب القبر وعذاب الجحيم ولا يكون ذلك إلا بفعل الأوامر واجتناب النواهي والخوف من الرب العظيم ولا يكون ذلك إلا بتقديم العدة والاستعداد لليوم الآخر العظيم ذلك اليوم الذي تحشرون فيه إلى الله حافية أقدامكم عارية أجسامكم شاخصة أبصاركم ذاهلة عقولكم ولما كان هذا اليوم عظيم الأهوال شديد الأحوال قدم الله بين يديه من العلامات والدلائل ما يبين به اقترابه ليستعد له ويحذر عذابه وقد سبق لنا من علامات الساعة خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ألا وإن من علامات الساعة طلوع الشمس من مغربها ففي صحيح البخاري أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال لأبي ذر حين غربت الشمس : "أتدري أين تذهب؟" قلت: الله ورسوله أعلم قال: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها : ارجعي من حيث جئت" فذلك قوله تعالى :]والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم[. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال : "لا تقوم الساعة حتى تطلع

الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً" وإنما كان طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة لأن هذه الشمس من آيات الله ولم يتغير مجراها منذ خلقها الله تعالى حتى يأتي أمر الله فإذا تغير نظامها دل ذلك على أن العالم قد آذن بالخراب والزوال.

ألا وإن من أشراط الساعة بعثة النبي، صلى الله عليه وسلم، ومن أشراطها رفع هذا القرآن العظيم عندما يعرض الناس عن العمل به إعراضاً كلياً فإنه من كرامته أن يرفع عن الناس حتى لا يبقى بين قوم يمتهنونه فلا يصدقون أخباره ولا يعملون بأحكامه يرفع فلا يبقى في المصاحف منه آية ولا في الصدور منه كلمة.

ومن أشراط الساعة هدم الكعبة المكرمة بيت الله المعظم فإنه يهدمه في آخر الزمان رجل حبشي أسود أفحج دقيق الساقين ينقضها حجراً حجراً حتى يأتي إلى آخرها.

فهذه الأشراط وأمثالها مما جاء به كتاب الله أو صح عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يجب على المسلمين أن يقروا بها ويعتقدوها وأن يعتقدوا أنها حق على حقيقتها فلا يحرفوها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم]فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها[.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . . الخ.

خطبة في حكم الإيمان بالقدر

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً وهو على كل شيء قدير وجعل لكل شيء قدراً وأجلاً مطابقاً لعلمه وحكمته وهو الحكيم الخبير وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الألوهية والخلق والتدبير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير،

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المعاد والمصير وسلم تسليماً .

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى وآمنوا به وآمنوا بقضائه وقدره فإن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان فلن يتم الإيمان حتى يؤمن العبد بالقدر خيره وشره ولا يتم الإيمان بالقدر حتى يؤمن الإنسان بأربعة أمور:

الأول: علم الله المحيط بكل شيء فإنه سبحانه بكل شيء عليم. عليم بالأمور كلها دقيقها وجليلها سرها وعلنها فلا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء.

الأمر الثاني: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى قيام الساعة من قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة فإن الله لما خلق القلم قال له: اكتب . قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن فكتب بعلم الله وإذنه ما هو كائن إلى يوم القيامة فما كتب على الإنسان لم يكن ليخطئه وما لم يكتب عليه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف قال الله تعالى] ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم[فعلى العبد إذا جرت الأقدار على ما لا يحب أن يرضى بقضاء الله وقدره وأن يستسلم للقضاء المكتوب فإنه لا بد أن يكون ويقع فلا راد لقضاء الله وقدره لكن الفخر كل الفخر لمن يقابل ذلك بالرضا ويعلم أن الأمر من الله إليه وأنه سبحانه له التدبير المطلق في خلقه فيرضى به رباً ويرضى به إلهاً وبذلك يحصل له الثواب العاجل والآجل فإن من أصيب بالمصائب فصبر هدى الله قلبه وشرح الله صدره وهون عليه المصيبة لما يرجو من ثوابها عند الله ثم إذا بعث يوم القيامة وهو أحوج ما يكون إلى الأجر والثواب وجد أجر مصيبته وصبره عليها مدخراً له عند الله وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وكما أن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء فكذلك يكتب سبحانه ويقدر في ليلة

القدر ما يكون في السنة كلها كما قال تعالى:] فيها يفرق كل أمرٍ حكيم [وكذلك يكتب على الإنسان وهو في بطن أمه ما سيجري عليه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : حدثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق فقال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله،

وعمله، وشقي أو سعيد فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" وهذا الرجل الذي كان يعمل بعمل أهل الجنة ثم ختم له بعمل أهل النار إنما كان يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ولم تكن نيته في الإخلاص والقصد نية مستقيمة فلذلك عوقب بسوء الخاتمة كما جاء ذلك مفسراً في حديث آخر.

الأمر الثالث مما يتم به الإيمان بالقدر: أن تؤمن بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فمشيئة الله وقدرته فوق كل قدرة]وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين[ ]والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون[.

الأمر الرابع: أن تؤمن بأن الله خالق كل شيء ومدبر كل شيء وأن ما في السموات والأرض من صغير ولا كبير ولا حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله وخلقه فمن الأشياء ما يخلقه الله بغير سبب معلوم لنا ومنها ما يكون سببه معلوماً لنا والكل من خلق الله وإيجاده فنسأل الله بأسمائه وصفاته أن يجعلنا وإياكم ممن رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد، صلى الله عليه وسلم، نبياً وأن يقدر لنا بفضله ما فيه صلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد وآله وأصحابه وأتباعهم إلى يوم الدين.

خطبة في حكم الإيمان بالقدر وكيفيته أيضاً

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً وجرت الأمور على ما يشاء حكمة وتدبيراً ولله ملك السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ولن تجد من دونه ولياً ولا نصيراً وأشهد أن لا إله إلا الله له الملك وله الحمد وكان الله على كل شيء قديراً وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى وآمنوا به، آمنوا بقضائه وقدره ومشيئته وخلقه فإن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان ولن يتم إيمان العبد حتى يحقق الإيمان بالقضاء والقدر.

وللإيمان بالقضاء والقدر أركان لا يتم إلا بها.

الركن الأول: أن تؤمن بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء شهيد فما من شيء حادث في السماء والأرض وما من شيء يحدث فيهما مستقبلاً إلا وعند الله علمه لا يخفى عليه شيء من دقيقه وجليله]وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين[.

الركن الثاني: أن تؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة فكل شيء يحدث في الأرض أو في السموات فهو مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وقد أشار الله تعالى إلى هذين الركنين بقوله :]ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير[وفي الحديث "أن أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب . قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة". وفي ليلة القدر يكتب ما يجري في تلك السنة]فيها يفرق كل أمر حكيم[وإذا تم للجنين في بطن أمه أربعة أشهر بعث الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد .

الركن الثالث: من أركان الإيمان بالقضاء والقدر أن تؤمن بمشيئة الله العامة وقدرته الكاملة وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فكل ما حدث في السموات والأرض من أفعال الله أو من أعمال الخلق فإنه بمشيئة

الله لا يحدث شيء كبير ولا صغير ولا عظيم ولا حقير إلا بمشيئة الله لا يحدث شيء كبير ولا صغير ولا عظيم ولا حقير إلا بمشيئة الله وقدره وتحت سمعه وبصره وهو الذي علم به وكتبه وقدره ويسر أسبابه فمن عمل صالحاً فبمشيئة الله]من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم[وكل شيء يعمله الإنسان ويحدثه فإنه بمشيئة الله حتى إصلاح طعامه وشرابه وبيعه وشراؤه وأخذه وعطاؤه ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته كلها بمشيئة الله تعالى وفي الحديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال : "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس" .

الركن الرابع: من أركان الإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله خالق كل شيء ومليكه ومقدره ومسخره لما خلق له وأن الله خالق الأسباب والمسببات وهو الذي ربط النتائج بأسبابها وجعلها نتيجة لها وعلم عباده تلك الأسباب ليتوصلوا بها إلى نتائجها لتكون عبرة لهم ودليلاً على نعمة الله عليهم بما يسره لهم من الأسباب التي يتمكنون بها من إدراك مطلوبهم على حسب ما تقتضيه حكمته ورحمته وقد أشار لله تعالى إلى هذا بقوله:]أفرأيتم ما تمنون[إلى قوله:]فسبح باسم ربك العظيم[فالأعمال التي يحدثها العبد ويقوم بها ناتجة عن أمرين:

أحدهما: عزم الإنسان عليها ولولا عزمه لما فعل.

والثاني: قدرته على العمل بما علمه الله تعالى من أسبابه وبما أعطاه من القوة عليه ولولا قدرة الإنسان على العمل ولولا علمه بأسباب إيجاده وعزمه لما وقع منه الفعل ولا شك أن الذي علم الإنسان وأوجد فيه العزم والقدرة هو الله تعالى، فالإنسان وعزمه وقدرته وفعله كله في ملك الله وتحت مشيئة الله وقدرته]أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيءٍ في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً[. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم .

خطبة في كمال الإسلام ويسره وسهولته

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق أرسله بدين الإسلام دين الرحمة ودين العدالة ودين العبادة والمعاملة فهدى الله به أقواماً وأضل عن طريقه آخرين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً .

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة . إن خير الحديث كتاب الله لأنه يهدي للتي هي أقوم، وخير الهدي هدي محمد، صلى الله عليه وسلم، لأنه الطريق المستقيم الموصل إلى الله وإلى سعادة الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون: إن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه إن الإسلام هو الاستسلام لله ظاهراً وباطناً استسلاماً تاماً لا تواني فيه ولا كسل ولا انحراف ولا خطل إنه طاعة لله تعالى سراً وعلناً بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وما أيسر ذلك على من يسره الله عليه.

أيها المسلمون: إن الشيطان بعداوته لكم يفتر عزائمكم عن القيام بدينكم ويدعوكم إلى الكسل والتواني عن أوامره ويغريكم ويحثكم على مخالفته ومعصيته إنه يصور لكم الدين بأنه حبس للحرية وتضييق على الإنسان وإرهاق له وتفويت لمصالحه يصوره لكم بأبشع صورة لتنفروا عنه، يصوره كذلك ليهلككم كما هلك،]إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير[إن الشيطان يصوره لكم بما يلقيه في صدوركم وبما يلقيه أولياؤه من شياطين الإنس .

أيها المسلمون: إن الدين الإسلامي بريء من كل ما يصفه به أعداؤه إنه دين الحق والعدالة والحرية الحقة إنه دين اليسر والسهولة ودين السعادة والتقدم استعرضوا أصول شرائعه لتقيسوا عليها فروعه. إن الإسلام مبني على خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً . وهذه الأركان كلها سهلة ويسيرة وكلها إصلاح وتهذيب.

فشهادة أن لا إله إلا الله توحيد وتجريد للقلب من التأله والعبادة لأحد سوى الله وحصر العبادة لله رب العالمين الذي خلقك فسواك وغذاك بنعمه ورباك فأنت بالنسبة إلى ربك عبد من عبيده وبالنسبة إلى غيره حر وإن من الحماقة بمكان أن تنطلق من عبودية ربك التي هي الحق وتقيد نفسك بعبودية هواك أو بعبودية المال أو عبودية فلان وفلان . إن كثيراً من الناس إذا اشتغل بطاعة الله فكأنما يصابر الجمر لا يصبر عليها إلا قليلاً مع قلق في نفسه وانشغال في قلبه وإذا اشتغل بدنياه أقبل عليها بقلبه وفكره واطمأن إليها واستراح بها ولها فهو كامل العبودية لدنياه وناقص العبودية لمولاه.

وأما شهادة أن محمداً رسول الله، فهي تجريد المتابعة له دون غيره من المخلوقين فهو رسول ربك الذي كلف بالرسالة إليك وكلفت باتباعها فعنها يسأل هو بلاغاً وتسأل أنت عنها اتباعاً]فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين[إن كل أحد من الناس سوف يسير في عمله على خطة مرسومة ومنهج متبع فإما أن يكون طريق النبيين أو طريق الضالين المكذبين فماذا بعد الحق إلا الضلال فانظر أي الطريقين أهدى وأقوم.

أما الصلاة فما أيسرها وأسهلها وما أنفعها للقلب والبدن والفرد والمجتمع فهي صلة بينك وبين ربك لا تأتيها إلا وأنت متطهر في ظاهرك وباطنك فتقوم بين يدي الله خاشعاً خاضعاً متقرباً إليه بما شرعه لك فيها

من ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود تسأله لدنياك وآخرتك فهي تنمي الدين وتحط الذنوب وتلحق بالصالحين ويستعان بها على أمور الدين والدنيا وتنهى عن الفحشاء والمنكر]واستعينوا بالصبر والصلاة[ ]وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[.

أما الزكاة فهي جزء بسيط تدفعه من مالك لسد حاجة إخوانك وإصلاح مجتمعك ففيها تزكية المال وتطهير النفس من البخل الذميم وتطهير القلب من الذنوب والآثام فالصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار]خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها[. إن كثيراً من الناس يهون عليهم أن ينفقوا المال الكثير في أهواء نفوسهم مما يضرهم أولا فائدة لهم منه لكنه عند الصدقات الواجبة أو المتطوع بها لا يهون عليه أن ينفق درهماً واحداً كأنه لم يثق بوعد الله بالخلف العاجل والثواب الآجل ولم يصدق بالوعيد الشديد لمن منع الزكاة.

أما الصيام فهو شهر واحد في السنة شهر يذكرك بأعظم نعمة من الله عليك شهر نزول القرآن شهر رمضان تمتنع فيه في النهار فقط عن شهوات نفسك من طعام وشراب ونكاح تقرباً إلى ربك وتقديماً لمرضاته على ما تشتهيه مع ما فيه من الفوائد الدينية والجسمية والاجتماعية.

أما الحج فهو قصد بيت الله لإقامة شعائره وتعظيم حرماته لا يجب في العمر إلا مرة واحدة على المستطيع تحط به الذنوب والخطايا والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة مع ما فيه من تعارف المسلمين في أقطار الدنيا واجتماعهم وتعليمهم وإرشادهم.

أيها المسلمون: هذه أصول الإسلام وأركانه فبالله عليكم هل فيها من صعوبة وهل فيها من خلل أو نقص أفليست هي شريعة الله وحكمه]ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون[.

إن الإسلام مفخرة لأهله وعز وكرامة في الدنيا والآخرة وإن به التقدم الحسي والمعنوي ومن شك في

ذلك فلينظر في تاريخ صدر الإسلام حينما كان المسلمون مسلمين ظاهراً وباطناً ولم تغرهم الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور.

فاتقوا الله عباد الله وتمسكوا بدينكم ظاهراً وباطناً سراً وعلناً قبل أن تسلبوه وتضلوا عنه ضلالاً بعيداً واحذروا أن يصيبكم قول الله تعالى:]فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين[اللهم ثبتنا على الإسلام والتوحيد واختم لنا بخاتمة السعادة والخير يارب العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين . . الخ.

خطبة في حماية الإسلام للدين والنفس والعرض والمال

الحمد لله القوي العظيم الرؤوف الرحيم يقضي بالحق ويحكم بالعدل وهو الحكيم العليم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة من العذاب الأليم والفوز بالنعيم المقيم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالحق الداعي إلى صراط مستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم في هديهم القويم وسلم تسليماً .

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله سبحانه واشكروه على ما أنعم به من حماية الدين والنفس والمال والعرض . حمى لكم الدين بما أقام عليه من الآيات البينات على صحته لتأخذوا به عن بصيرة وبرهان، وحمى لكم الدين بما رتب على القيام به من الثواب لترغبوا فيه وتستقيموا عليه، وحمى لكم الدين بما رتب على مخالفته من العقاب حتى لا تخرجوا عنه، وحمى لكم الدين بما كتب عليكم من الجهاد بالمال والنفس لتحموه وتدافعوا عنه.

ولقد حمى الله النفوس وأكد تحريمها وحرمتها في كتابه وسنة رسوله ليستقيم المجتمع ويحل فيه الأمن فقد قرن الله الاعتداء على النفس بالاعتداء على الدين فقرن القتل بالشرك قال تعالى:] والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق[.

قال تعالى:]قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون[.

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق" وذكر تمام الحديث وقال: " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" . وقال: "لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً " رواه البخاري.

وقال: "لزوال الدنيا – يعني كلها – أهون عند الله من قتل رجل مسلم" . ومن أجل ذلك جعل الله في القتل المتعمد عقوبات غليظة وقصاصاً ثابتاً فقال تعالى:]ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً[جزاء مروع نار وغضب ولعنة وعذاب عظيم . وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار" ومن أجل حماية النفس شرع الله القصاص فقال سبحانه:]يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى[. هذا في هذه الأمة وقال في بني إسرائيل:]وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس[وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة" وخفف هذه الفريضة بأن جعل لأولياء المقتول الخيرة بين القصاص والدية والعفو إذا كان خيراً فقال سبحانه:

]فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة[وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "من قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يفدي أو يقاد" وأبطل الله ما يتوهمه ذو الوهم الفاسد من أن القصاص زيادة في القتل فقال سبحانه:]ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون[.

ولقد حمى الله الأموال بما أحاطها من العقوبات في الاعتداء عليها فقال تعالى:]ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون[وأوجب الله قطع يد السارق حماية للأموال فقال تعالى:]والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم[. إن قطع يد السارق هو الحكمة البالغة والمصلحة الظاهرة فيد السارق تقطع بربع دينار ولو اعتدى شخص على يد إنسان فقطعها كانت ديتها خمسمائة دينار رعاية لحماية المال ولحماية النفس.

أما حماية الأعراض فقد أتقنها الإسلام من كل ناحية سواء من الناحية الخلقية أو الاجتماعية فمن الناحية الخلقية أوجب الله الحد على من هتك الأعراض بالزنى وذلك برجمه بالحجارة حتى يموت إذا كان محصناً وهو المتزوج سواء كان

رجلاً أم امرأة. وأما غير المحصن فيجلد مئة جلدة وينفى عن البلد سنة كاملة رجلاً كان أم امرأة . وأما اللواط وهو إتيان ذكر الذكر ففيه القتل بكل حال إذا كان بالغاً والتعزير البليغ لغير البالغ، قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به" وأوجب الله الحد على من قذف محصناً بالزنى فقال سبحانه:]والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة[فمن قال لشخص عفيف : يا زاني فعليه ثمانون جلدة إلا أن يأتي بأربعة شهداء أو يقر المقذوف بذلك.

وأما حماية الأعراض من الناحية الاجتماعية فقد حرم الله بين المسلمين السخرية واللمز والتنابز بالألقاب السيئة والغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره في غيبته . ذكر الله ذلك في سورة الحجرات في قوله تعالى:]يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن[إلى آخر الآية التي بعدها.

فاحمدوا عباد الله ربكم على ما أنعم من حماية دينكم وأنفسكم وأموالكم وأعراضكم واسألوه الثبات على الدين وجاهدوا أنفسكم على ذلك واعبدوه وتوكلوا عليه واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه الغفور الرحيم.

خطبة في شكر نعمة الإسلام بالعمل به

الحمد لله الغني الجواد الكريم الرؤوف بالعباد من علينا بنعم لا يحصى لها تعداد ويسر لنا من فضله وجوده حتى عم الرخاء الحاضر والباد ورزقنا أمناً واستقراراً حتى أصبح الواحد يسير آمناً لا يخاف إلا الله في جميع البلاد . أحمده وأشكره وكلما شكر زاد وأشهد أن لا إله إلا هو واسع الجود فما لما عنده نفاد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الشاكرين على النعم وأعظمهم صبراً على ما لا يراد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم التناد وسلم تسليماً .

أما بعد: أيها الناس اتقوا ربكم واشكروه فلقد تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد . أيها الناس أما ترون نعم الله تترى عليكم في كل وقت وحين وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . أما ترون نعمته عليكم بدين الإسلام حيث أنشأكم في بيئة مسلمة تقرأ كتاب الله تعالى وتسمع من سنة رسوله أنشأكم في بيئة تقام بها الصلوات ويدعى إليها بالأذان بأعلى الأصوات أنشأكم في بلاد لا ترى – ولله الحمد – فيها كنيسة ولا صومعة وإنما هي مسجد ومدرسة وصار الإسلام كأنما هو طبيعة من الطبائع وغريزة من الغرائز

لا يشق عليكم نيله وإدراكه وهذه والله أكبر النعم فاشكروها أيها المسلمون حق شكرها اشكروها بالتمسك بها وارعوها حق رعايتها فلئن لم تفعلوا لتسلبن عنكم هذه النعمة ويحل بدلها شعار الكفار والبدع والضلال لئن لم تشكروها بالتمسك بها لتفتحن في بلادكم مدارس النصارى وكنائس الرهبان إن العاقل ليقيس ويفهم فكما أن نعمة الأمن إذا لم تشكر أبدل بها بالخوف ونعمة الرزق إذا لم تشكر أبدل بها الجوع كذلك نعمة الدين إذا لم تشكر أبدل بها الكفر]وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم[. إن الإسلام أعز ممن ينتمي إليه فإذا لم يجد أناساً يعرفون قدر نعمة الله عليهم به ويعضون عليه بالنواجذ ويرونه غنيمة ادخرها الله لهم فسوف يرتحل عنهم إلى غيرهم وسيجعل الله على هذه الأرض طائفة على الحق حتى يأذن الله بخراب العالم قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله" .

أيها الناس أما ترون إلى ما أنعم الله به عليكم من نعمة الأمن والاستقرار يسافر الرجل وحده من أقصى المملكة إلى أقصاها غير خائف، مستقراً غير قلق معه الأموال الكثيرة لا يخاف عليها ولا على نفسه من أجلها . أما ترون إلى ما أنعم الله به عليكم من الأرزاق من قوت وفاكهة وملابس متنوعة ووسائل راحة من جميع الوجوه . أما ترون إلى ما أنعم الله به عليكم هذا العام من الأمطار المباركة التي أحيا الله بها الأرض بعد موتها وأنبتت من كل زوج بهيج.

فاشكروا الله أيها المسلمون على هذه النعم اشكروه حق شكره شكراً حقيقياً . فإن الشكر اعتراف العبد بقلبه بنعمة الله وأن يؤمن إيماناً بأن هذه النعم محض فضل من الله تعالى ليس له على الله منة فيها وإنما المنة لله تعالى فيها عليه . لا يقل كما قال قارون:]إنما أوتيته على علم عندي[. ولا يقل كما يقول الكافر فيما حكى الله عنه:]ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء

مسته ليقولن هذا لي[أي إنني كفء له ومستحقه أنكر أن يكون من فضل الله عليه.

وإن الشكر أيها المسلمون ثناء على الله بنعمته عليك وحمد له عليها وتحدث بها على سبيل الثناء على الله لا على سبيل الافتخار بها على عباد الله] وأما بنعمة ربك فحدث[وإن الشكر عمل بطاعة الله فعل لأوامره واجتناب لما نهى عنه . فمتى قام العبد بهذه الأركان الثلاثة فقد شكر الله شكراً حقيقياً . أما إذا كان يعتقد أن ما أصابه من نعم الله فهو مستحق له ولا منة لله عليه فيه فهذا كافر بنعمة الله معجب بعمله مغرور بنفسه فمن هو حتى لا يكون لله عليه منة. وإذا كان لا يثني على الله بنعمته فكلما سئل عن حاله صار يتشكى ويتألم ويجحد ما أنعم الله به عليه ورأى أنه قد ظلم حيث لم يحصل له مثل فلان وفلان فهذا أيضاً كافر بنعمة الله عليه محتقر لها وما يدريه لعله لو حصل له ما حصل لفلان لكان سبباً لأشره وبطره وإعراضه عن الله. وإذا كان لا يستعين بنعم الله على طاعته بل كانت نعم الله عليه سبباً لأشره وبطره وإهماله لواجبات دينه ووقوعه في المعاصي فإنه قد بدل نعمة الله عليه كفراً ويوشك أن يسلبه الله هذه النعمة أو يغدقها عليه استدراجاً من حيث لا يعلم فلا يزال على ذلك حتى يخرج من نعيمه في الدنيا إلى عذابه في الآخرة .

أيها المسلمون: إن من وفق للشكر فقد حصل له نعيم الدنيا والآخرة يعيش حميداً قائماً بأمر الله ويموت سعيداً خالداً في ثواب الله ومن كفر أوشك أن يحل عليه عذاب الله] وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون[.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اللهم أصلح ولاة أمورنا وأصلح رعيتنا ووفقنا لما تحب وترضى إنك جواد كريم اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خطبة في تحقيق التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واشكروه على ما من به عليكم أن بعث فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة . رسولاً أخرجكم الله به من الظلمات إلى النور من ظلمات الجهل إلى نور العلم ومن ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد والإيمان ومن ظلمات الجور والإساءة إلى نور العدل والإحسان ومن ظلمات الفوضى الفكرية والاجتماعية إلى نور الاستقامة في الهدف والسلوك ومن ظلمات القلق النفسي وضيق الصدر إلى نور الطمأنينة وانشراح الصدر] أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه[ ]كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد. الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد[.

لقد بعث الله نبيه محمداً، صلى الله عليه وسلم والناس يتخبطون في الجهالات ففتح لهم أبواب العلم: أبواب العلم في

معرفة الله تعالى وما يستحقه من الأسماء والصفات وما له من الأفعال والحقوق وأبواب العلم في معرفة المخلوقات في المبدأ والمنتهى والحساب والجزاء قال الله تعالى:]ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم

القيامة تبعثون[. وفتح الله لعباده بما بعث به نبيه محمداً، صلى الله عليه وسلم أبواب العلم في عبادة الله تعالى والسير إليه وأبواب العلم في السعي في مناكب الأرض وابتغاء الرزق بوجه حلال فما من شيء يحتاج الناس لمعرفته من أمور الدين والدنيا إلا بين لهم ما يحتاجون إليه فيه حتى صاروا على طريقة بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتيه فيها إلا أعمى القلب . لقد بعث الله تعالى محمداً، صلى الله عليه وسلم والناس منغمسون في الشرك في شتى أنواعه فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد المسيح ابن مريم، ومنهم من يعبد الأشجار، ومنهم من يعبد الأحجار، حتى كان الواحد منهم إذا سافر ونزل أرضاً أخذ منها أربعة أحجار فيضع ثلاثة منها تحت القدر وينصب الرابع إلهاً يعبده فأنقذهم الله برسوله من هذه الهوة الساحقة والسفه البالغ من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فحقق التوحيد لرب العالمين تحقيقاً بالغاً وذلك بأن تكون العبادة لله وحده يتحقق فيها الإخلاص لله بالقصد والمحبة والتعظيم فيكون العبد مخلصاً لله في قصده مخلصاً لله في محبته مخلصاً لله في تعظيمه مخلصاً لله تعالى في ظاهره وباطنه لا يبتغي بعبادته إلا وجه الله تعالى والوصول إلى دار كرامته]قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين[ ]فإلهكم إله واحد فله أسلموا[. هكذا جاء كتاب الله تعالى وتلته سنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، بتحقيق التوحيد وإخلاصه وتخليصه من كل شائبة وسد كل طريق يمكن أن يوصل إلى ثلم هذا التوحيد أو إضعافه حتى إن رجلاً قال للنبي، صلى الله عليه وسلم، : "ما شاء الله وشئت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أجعلتني لله نداً بل ما شاء الله ؟وحده" فأنكر النبي، صلى الله عليه وسلم، على هذا الرجل أن يقرن مشيئته بمشيئة الله تعالى بحرف يقتضي التسوية بينهما وجعل ذلك من اتخاذ الند الله عز وجل واتخاذ الند لله تعالى إشراك به وحرم النبي، صلى الله عليه وسلم أن يحلف الرجل بغير الله وجعل ذلك

من الشرك بالله فقال، صلى الله عليه وسلم: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" وذلك لأن الحلف بغير الله تعظيم للمحلوف به بما لا يستحقه إلا الله عز وجل فلا يجوز للمسلم أن يقول عند الحلف : والنبي أو وحياة النبي أو وحياتك أو وحياة فلان بل يحلف بالله وحده أو يصمت عند الحلف ولما سئل، صلى الله عليه وسلم عن الرجل يلقى أخاه فيسلم عليه أينحني له؟ فقال: "لا" فمنع صلى الله عليه وسلم من الانحناء عند التسليم لأن ذلك خضوع لا ينبغي إلا لله رب العالمين فهو سبحانه وحده الذي يركع له ويسجد وكان السجود عند التحية جائزاً في بعض الشرائع السابقة ولكن هذه الشريعة الكاملة شريعة محمد، صلى الله عليه وسلم منعت منه وحرمته إلا لله وحده.

وفي الحديث أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم (زعمائهم) وذلك قبل أن يسلموا فلما رجع معاذ سجد للنبي، صلى الله عليه وسلم فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "ما هذا يا معاذ"؟ فقال: رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله يعني أحق من أساقفتهم بالسجود فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" من عظم حقه عليها. وروى النسائي بسند جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ناساً جاؤوا إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال : "يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل"، ولقد بلغ من سد النبي، صلى الله عليه وسلم ذرائع الشرك ووسائله أن لا يترك في بيته صورة شيء يعبد من دون الله تعالى أو يعظم تعظيم عبادة . ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يكن النبي صلى الله

عليه وسلم يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه والتصاليب هي الصلبان التي يتخذها النصارى شعاراً لدينهم أو يعبدونها والصليب كل ما كان على شكل خطين متقاطعين هكذا عرفه صاحب المنجد ومعناه أن يكون على شكل خط مستقيم رأسه إلى فوق يعترضه خط رأسه إلى الجانب سواء كان هذا الخط المعترض في وسط الخط المستقيم أو فوق وسطه، يزعم النصارى أن المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام صلب عليه بعد أن قتل وقد قال الله تعالى في القرآن مكذباً من زعموا أنهم قتلوه:] وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم[وقال تعالى:]وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً[فكان النصارى يقدسون الصليب يضعونه فوق محاريبهم ويتقلدونه في أعناقهم فكان من هدي النبي، صلى الله عليه وسلم إزالة كل ما فيه تصاليب حماية لجانب التوحيد وإبعاداً عن مشابهة غير المسلمين ولقد كانت بلادنا هذه ولله الحمد من أعظم البلاد الإسلامية محافظة على توحيد الله تعالى ومتابعة رسوله، صلى الله عليه وسلم بما من الله عليها من علماء مبينين وولاة منفذين وصارت عند أعداء الإسلام قلعة الإسلام فغزوها من كل جانب بكل شكل من أشكال الغزو حتى كثرت الفتن فيها وصارت صور الصلبان على بعض الألعاب للأطفال بل وعلى الفرش لتكون نصب أعين المسلمين صبيانهم وكبارهم فلا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم احفظ لهذه الأمة دينها وقها شر أعدائها وأيقظ القلوب من الغفلة عما يراد بنا يا رب العالمين إنك جواد كريم . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . . .الخ.

خطبة في خلق السموات والأرض

الحمد لله الذي رفع السموات بغير عماد ووضع الأرض وهيأها للعباد وجعلها مقرهم أحياء وأمواتاً فمنها خلقهم وفيها يعيدهم ومنها يخرجهم تارة أخرى يوم المعاد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مضاد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل العباد،

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله وأطيعوه وصدقوا بما أخبركم به واعتقدوه وارفضوا ما خالف كتابه وسنة نبيه من أقوال الناس وردوه لأن ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل زور وبهتان وما وافق الكتاب والسنة فهو حق ثابت لقيام الحجة والبرهان واعلموا أن الله سبحانه لم يشهد أحداً خلق السموات والأرض فلا علم عند أحد في ذلك إلا ما جاء عن طريق الوحي]ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً[فكل من تكلم عن خلق السموات والأرض من أي مادة هو وكيف وقع ومتى وقع كل من تكلم بذلك من غير طريق الوحي فإنما يتكلم على أمر نظري وقياس ظني قد يصيب وقد يخطئ وقد يرفض وقد يغير إذ ليس أحد من البشر شاهد كيف خلق السموات والأرض هذه هي الحقيقة الثابتة وعلى هذا فالاعتماد في ذلك على ما جاء في كتاب الله أو صح عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون لقد خلق الله السموات والأرض في ستة أيام فجعل السموات سبعاً والأرضين سبعاً جعل الله السموات سبعاً طباقاً بعضها فوق بعض]ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً[وبناها بناء محكماً قوياً شديداً]أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج[ ]والسماء بنيناها بأيد (يعني بقوة) وإنا لموسعون[ ]وبنينا فوقكم سبعاً شداداً[أي قوية محكمة، جعل الله بين كل واحدة والأخرى مسافة فكان جبريل يعرج بالنبي، صلى الله عليه وسلم، من سماء إلى سماء حتى بلغ السابعة . رفعها الله رفعاً عظيماً]والسماء رفعها[ ]أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع سمكها فسواها[رفعها سبحانه بغير عمد وأمسكها بقوته] الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها[ ]ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم[جعلها الله سقفاً للأرض محفوظاً من الشياطين] وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً[ ]ولقد

جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم . إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين[جعل لها أبواباً لا تفتح إلا بإذنه]إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء[وفي يوم القيامة يطوي الله هذه السموات بيمينه]يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين[ ]وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون[.

أيها المسلمون: إن هذه الآيات الكريمة العظيمة لتدل دلالة قاطعة لا تقبل الشك ولا الجدال على أن السموات السبع أجرام محسوسة رفيعة قوية محكمة محفوظة لا يستطيع أحد دخولها ولا اختراقها إلا بإذن الله عز وجل ألم تعلموا أن محمداً، صلى الله عليه وسلم، أشرف البشر وجبريل أشرف الملائكة ما دخلا السموات حين عروجهما إلا بالإذن والاستفتاح فكيف بغيرهما من المخلوقين؟!.

أيها الناس: أفبعد هذا يمكن لمؤمن أن يقول : إن السموات هي المجرات أو هي الغلاف الجوي للأرض أو يقول : إن ما نشاهده فضاء لا نهاية له إن من يقول ذلك فهو إما جاهل بوحي الله وإما مكذب به مستكبر عنه مشاق الله ورسوله]ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب[ ]ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً[إن إنكار السموات أو التكذيب بها أو بأنها ذات بناء وإحكام تكذيب لله وكفر به سواء قالها قائل أو صدق من يقولها.

أما الأرض فإنها سبع أرضين في ظاهر كلام الله تعالى وصريح سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى:

]الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن[وهذه المثلية تقتضي المساواة في كل ما تمكن

فيه فالأرض مثل السموات في العدد. قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "اللهم رب السموات السبع وما أظللن والأرضين السبع وما أقللن" (رواه النسائي) والأرض مثل السموات في التطابق فإذا كانت السموات سبعاً طباقاً فكذلك الأرض مثلهن يقول النبي، صلى الله عليه وسلم،: "من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين" (رواه البخاري) . وقال أيضاً : "من اقتطع شبراً من الأرض بغير حقه طوقه إلى سبع أرضين" (تفرد به أحمد وهو على شرط مسلم) . والغاية تدل على أن كل أرض تحت الأرض وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً.

لقد خلق الله هذه السموات وهذه الأرضين وقدر فيهن ما قدر من عجائب مخلوقاته وأسرار مبدعاته وفصل لنا ما فصل منها في سورة فصلت حيث قال:]قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم[. وحجب عن عباده كثيراً من ذلك فلا يحل لأحد أن يثبت شيئاً من أسرار الكون إلا بدليل منقول أو محسوس أما مجرد النظريات التي قد تتغير وتتبدل فلا يمكن الاعتماد عليها وأشد من ذلك وأدهى أن يحرف من أجلها كتاب الله وسنة رسوله فينزل على الآراء والنظريات القابلة للنقض والإفساد ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.

وفقني الله وإياكم لفهم كتابه والعمل به وجنبنا الزيغ والزلل في القول والعمل أقول قولي هذا . . . الخ.

خطبة في حقيقة الإيمان وعلاماته

الحمد لله الذي يقضي بالحق ويحكم بالعدل ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم يقدر الأمور بحكمة ويحكم بالشرائع لحكمة وهو الحكيم العليم أرسل الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وليقوم الناس بالقسط ويؤتوا كل ذي حق حقه من غير غلو ولا تقصير وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً .

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى وانصروا الله ينصركم وأطيعوه يثبكم]ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور[.

أيها الناس: إن الإيمان ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب ورسخ فيه وصدقته الأعمال بفعل الطاعات واجتناب المعاصي . إن كل واحد يستطيع أن يقول : إنه مسلم بل يرتقي إلى أعلى ويقول : إنه مؤمن كل واحد يستطيع أن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . المنافقون يأتون إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، ويقولون : نشهد إنك لرسول الله . المنافقون يحلفون للنبي، صلى الله عليه وسلم وأصحابه إنهم لمنهم وما هم منهم ولكن كل هذه الشهادات والأيمان لم تنفعهم فهم في الدرك الأسفل من النار تحت كل مشرك وكل دهري وكل يهودي وكل نصراني لأن هذه الشهادات والأيمان لم تصدر عن يقين وإيمان ولا عن قبول وإذعان]ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين[فالإيمان عقيدة راسخة قبل كل شيء تنتج قولاً سديداً وعملاً صالحاً تنتج الحب لله ورسوله والإخلاص في توحيد الله واتباع رسوله، صلى الله عليه

وسلم جد وعمل ومثابرة ومصابرة وحبس للنفس على ما تكره من طاعة الله ومنع لها عما تحب من معصية الله. إن للإيمان علامات كثيرة ذكرها الله في كتابه وذكرها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في سنته نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:]إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم[ونذكر أيضاً قوله تعالى:] وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون . أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون[.

فبالله عليكم أيها المسلمون من منا بهذه المثابة، من منا إذا ذكر الله وجل قلبه خوفاً من الله وتعظيماً له، من منا إذا تليت عليهم آيات ربهم زادتهم إيماناً واستبشروا بها لما يجدون في نفوسهم من حلاوة التصديق بها والامتثال لأحكامها، من منا قام بتحقيق التوكل على الله والاعتماد عليه وعدم التعلق بالمخلوقين، من منا أقام الصلاة على الوجه المطلوب بالمحافظة عليها وإتقان حدودها، من منا قام بالإنفاق مما رزقه الله من بذل زكاة وسد حاجة الأهل والأقارب والمعوزين؟

لنفكر أيها الناس في حال المسلمين إننا إذا فكرنا في حال المسلمين اليوم لا في هذه الجزيرة فحسب ولكن في جميع البلاد الإسلامية نجد مسلمين بلا إسلام ومؤمنين بلا إيمان إلا أن يشاء الله نجد ذلك من القمة إلى من لا يجد اللقمة الكل مقصر والكل غير قائم بما يجب عليه من حقوق لله تعالى أو لعباد الله. إننا نجد في الأمة الإسلامية تقصيراً في الإيمان واليقين ونجد تقصيراً في الأخلاق الفاضلة وحمايتها ونجد تقصيراً في الأعمال . إننا نجد تقصيراً في الإيمان واليقين لأننا نجد

بعض الناس ولا سيما بعض من عاش فترة في بلاد الكفر ونهل من صديد أفكارهم الملوثة وثقافتهم المزيفة نجد في هؤلاء من في قلوبهم شك وريب فيما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب تجدهم في شك من وجود الملائكة وفي شك من وجود الجن وفي شك من صحة رسالة محمد، صلى الله عليه وسلم بل بعضهم في شك من وجود الله تعالى وجود خالقه سبحان الله !! يشك في وجود خالقه ولا يشك في وجود نفسه إن كل من شك في وجود الله يجب أن يشك في وجود نفسه أولاً لأنه لم يخلقه أحد سوى الله عز وجل . نجد من المسلمين اليوم من إذا ذكر الله عنده لم يتحرك قلبه أبداً ولا كأن شيئاً ذكر عنده فضلاً عن أن يوجل قلبه. نجد من المسلمين اليوم من إذا تليت عليهم آيات الله لم يزدادوا إيماناً بل يزدادون رجساً إلى رجسهم فيسخرون بها ويستكبرون عن أحكامها . نجد من المسلمين اليوم من لا يتوكلون على الله تعالى وإنما يعتمدون على الأسباب المادية المحضة اعتماداً كلياً ولهذا تجدهم لا يسيرون في طلب رزقهم على شريعة الله ظناً منهم أن الأخذ بالطرق الشرعية يضيق موارد الرزق فلذلك نجدهم يسعون لتحصيل الرزق بكل وسيلة حلالاً كانت أم حراماً . وتجد من المسلمين اليوم من اعتمد على أعداء الله في أمنه وسلامه حتى آل الأمر بهم إلى أن أطاعوهم في بعض الأمور المخالفة لشريعة الله تعالى والله يقول:]إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعدما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم . ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم . فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم . ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم[نجد هؤلاء الذين أطاعوا هؤلاء الأعداء في بعض الأمور المخالفة للشريعة إنما سلكوا هذا المسلك المنحرف لضعف توكلهم على الله وقوة اعتمادهم على غيره. انبهروا من قوة هؤلاء الأعداء المادية فظنوا أن كل شيء بأيديهم ونسوا أن الذي خلق هؤلاء هو أشد

منهم قوة وأن قوة هؤلاء المبهورين لو أرادوها وجدوها في التوكل على الله تعالى والأخذ بأسباب نصره من تطبيق دينه والتزام شريعته في أنفسهم وفيمن ولاهم عليه لأنهم إذا فعلوا ذلك كان الله معهم ومن كان الله معه فلن يغلب]وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً[نجد من المسلمين اليوم من لا يقيمون الصلاة ولا يحافظون عليها فلا يصلون مع الجماعة ولا يأتون بشروطها وأركانها وواجباتها فلا يبالون بالطهارة أتقنوها أم فرطوا فيها ولا يصلون في الوقت ولا يطمئنون في القيام والقعود والركوع والسجود لا بل من الناس الذين قالوا : إنهم مسلمون من لا يصلي بل من يسخر ويستهزئ بمن يصلي . نجد من المسلمين من هو جماع مناع لا ينفق مما رزقه الله فلا زكاة ولا صدقة ولا إنفاق كاملاً على من يجب عليه الإنفاق عليه ومع ذلك تجده يبذل الكثير من ماله فيما لا ينفعه بل فيما حرم الله عليه أحياناً.

إن المسلمين اليوم في حال يرثى لها والشكوى إلى الله تضييع لفرائض الله وتعد لحدود الله وتهاون في شريعة الله ونسيان لذكره وأمن من مكره واعتناء بما خلق لهم وغفلة عما خلقوا له ولهذا سلط عليهم الأعداء فاستذلوهم واستهانوا بهم وتلاعبوا بهم سياسياً واقتصادياً حتى صاروا كالذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فإنا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم إنا نسألك في مقامنا هذا وفي انتظار فريضة من فرائضك التي مننت بفرضها علينا نسألك بأنا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم نسألك أن تحبب إلينا الإيمان وتزينه في قلوبنا وترسخه فيها وأن تكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان وتباعدها عنا وأن تهيئ للأمة الإسلامية من أمرها رشداً ولاة صالحين يقضون بالحق وبه يعدلون لا يخافون في الله لومة لائم

لا يحابون قريباً لقربه ولا قوياً لقوته وأن تحفظ علينا ديننا وتثبتنا عليه إلى الممات إنك جواد كريم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . . . الخ.

تم بحمد الله- تعالى – المجلد السادس

ويليه بمشيئة الله –عز وجل المجلد السابع